ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان

حنطة

مجلة شهرية تصدر عن شبكة حنطة للدراسات والنشر

العدد 21 - تشرين الاول 2014

لافتة نظري

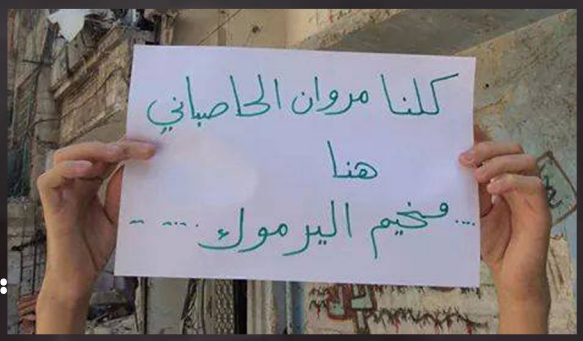

HENTAH

هيئة التحرير

رئيس التحرير : ناجي الجرف

مدير التحرير : بشرى جود

المدير الفني : بحر عبد الرزاق

الإخراج الصحفي : عمر الأمين

فريق التحرير

ثابت اسماعيل

جمال حسون

جنان علي

مصطفى تاج الدين الموسى

الغلاف الامامي: عمل للفنان أنس سلامة

تقرؤون في هذا العدد

ع البيدر

حوار مع السياسي الكردي فؤاد عليكو ص(١٤)

حواس محمود

حديدة

التسول .. والجوع ... والحرب على الشعب ص(١٦)

علي عمار

حكايا البيدر

هاني فحص..رصيدنا أنّا عاصرناه ص(٢٥)

أحمد عيساوي

جرن حنطة

الأرواح تحت القصف ص(٣٠)

عارف حمزة

رحى

عجلة التنمية الإدارية تسير على أرض بور ص(٣٨)

سعيد محمد

حنطة حلب

سورية: لا يمكن حل النزاع بقوة السلاح ص(٣٩)

ترجمة: ليلى كريم

خميرة

الرواية السورية والهزات الارتدادية ص(٤٣)

د. سوسن جميل حسن

إن الآراء الواردة في مجلة حنطة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة

www.hentah.com

henta.magazine@gmail.com

رغيف أسمر

طرحت الأزمة السورية مشاكل عديدة، لم تكن ظاهرة فيما مضى، منها ما هو متعلق بإشكالات العيش المشترك بين جماعات متعددة ومختلفة إثنياً، ودينياً.
وبالطبع، فإننا لا نستطيع فصل سورية عن التاريخ المعاصر ، هذا التاريخ الذي شهد انبعاث الهويات الجماعية بتعبيرات حادة وقاسية. وهي ربما كانت -في حدتها وقسوتها هاتين- تعبيراً عن مقاومة العولمة باسم الخصوصية الثقافية.
سورية غنية بتعددها، سواءً من حيث القوميات، أم من حيث الطوائف، وربما كان الحدث السوري الكبير فرصةً لإعادة التأمل في سورية، ودراستها من جديد: تاريخاً وسياسةً، علنا نصل إلى تلمس طريق المواطنة السورية المتساوية.
وأياً كان الأمر فليس هناك في تصورنا حلّ عقلاني لمشكلة التنوع والتعدد سوى بتحويله من نقمة إلى نعمة، سوى بقبوله كتنوع خلاق يُميز سورية ككل.
المسألة برأينا تكمن في "إدارة الوحدة ضمن التنوع"، وإدارة ما سيقرره الشعب السوري مستقبلاً في صيغة عقد اجتماعي جديد: هل نحافظ على شكل الدولة الحالي، أم نسير في اتجاه الإدارة الذاتية وصولاً إلى الفيدرالية؟
في دأبها على فتح الملفات الشائكة، وعدم الخوف من الخوض فيها، تفتح مجلة حنطة هذا الملف في عددها هذا.
لذا توجهنا إلى عدد من الأساتذة المفكرين والمهتمين بالشأن السوري، وطرحنا عليهم هذه المحاور:
1. في تعريف الثقافة، وفي تعريف التعددية الثقافية: هل هناك جماعات ثقافية فعلاً؟
2. من وجهة نظرك ما هو مفهوم العيش المشترك، هل تصحّ التسمية؟ (على اعتبار أنّ العيش المشترك يُشير إلى أنّ هناك جماعات متناقضة ينبغي أن تتعايش مع بعضها).
3. كيف يمكن للدولة- الأمة أن تتعامل مع تحدي التنوع الثقافي بين مكوناتها؟.
4. عطفاً على المحور السابق، هل الشكل الراهن للدولة القومية ما زال صالحاً لحلّ مشاكل الاندماج والاختلاف بين مكونات المجتمع السوري؟
نأمل منكم إغنائنا بأرائكم، ونقاشاتكم.
وقد اختار أصدقاؤنا ممن شاركونا هذه الأسئلة، طريقتهم في الإجابة، فمنهم من أجابنا منفصلاً، ومنهم من أجمل الإجابات على شكل مادة متكاملة، ومنهم من اعتمد هذه الأسئلة كخلفية لمادته، وابتعد في إجابته المباشرة عنهم.

المشاركون في الملف حسب الترتيب الأبجدي، مع حفظ الألقاب طبعاً:
-أحمد الشمّام.
-رياض درار.
-علاء زيات.
-مازن كم الماز.
-محمد الجرف.
-هيثم خوري.
-نيك دان فورس وغراهام بيتس- ترجمة: غياث عبد العزيز.

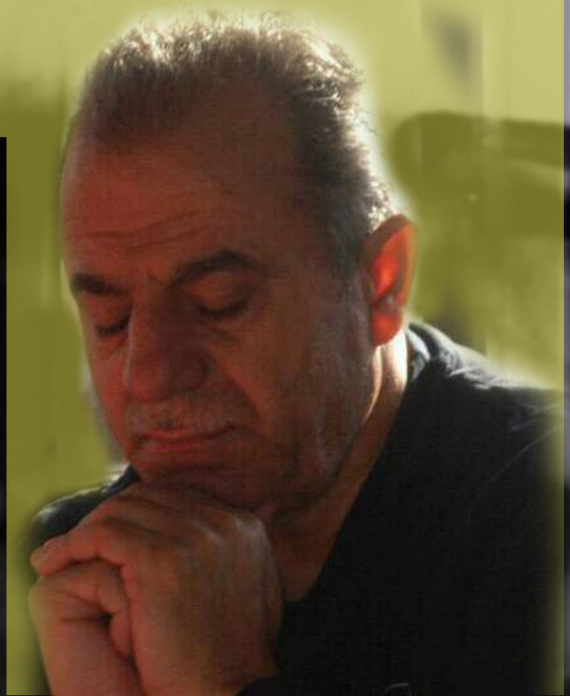

كيف يمكن لصديقٍ أن يُعرّف صديقَه، وأن يرثيه!
مروان حاصباني، عريسُ هذا العدد، ولو كنتُ شاعراً لتجرأتُ وقلتُ: هو عريس سورية كلّها.
مروان المولود في شباط سوري، الطفل الذي بقي حاملاً لطباع شباط!
الغاضب، الحنون، المبادر، صاحب النكتة، الجدي، المرح، والمتمسك بالأمل السوري دوماً وأبداً.
الناشط المدني الذي لم يكن ليبخل بشيء من وقته أو ماله في سبيل ثورة هجرته!
قد أحسدك على موتك يا حبيبي، فأنت لم ترَ ما رأيناه، انكساراتنا لم تزرْك، سورية لم تضعْ منك كما ضاعت منّا.
.....
هكذا يا مروان..
هكذا يودّع الشهداء أحبائهم، بأن لا يودعوهم.
لذا، لم يكن لنا "لقاءٌ أخيرٌ في روما"!
(العدد مُهدى إلى مروان حاصباني
وُلد مروان في الثاني من شباط العام 1965، اشترك في الحراك السوري منذ انطلاقته، حتى لحظة اعتقاله في 17 شباط 2014، وتوفي تحت التعذيب بتاريخ 12 آذار من العام نفسه)

إدارة التنوع الطائفي في سورية

أحمد الشمام - كاتب وباحث سوري

الكتلة الوطنية ١٩٣٦

اشتُقّ مفهوم الثقافة في العربية من المثقف، وهو الرمح الذي شُذّب وأزيلت زوائده. وبالرغم من دلالاتها العميقة، لكنه مفهوم لم يظهر في حيز الوعي الفكري العربي إلاّ في العصر الحديث -القرن الماضي خصوصاً- وقد حفلت ترجمة culture من اللغات الأوربية بكثير من المعاني، فهي المشتقة من الزراعة والتنمية، ولعل الألمانية أضمرت بين دلالاتها على رعاية النمو الطبيعي، ممّا يدلّ على دور المجتمع، أو الدولة، أو قطب معين على تولّي هذه المهمة التي تشمل التعليم، الذي يتولّى تنمية القدرات (الذهنية والنفسية) والخلقية كما يقول الانكليزي ماثيو أرنولد في كتابه «الثقافة والفوضى». ومن ثمّ اكتساب الوعي الاجتماعي «الراقي» والحضاري على حد تعبير الكاتب محمد عناني، والذي غالباً مانصفه بالوعي الحضاري، ورغم تداخل الثقافي بالحضاري، فهناك من يفرق بينهما بأن الثقافي يقتصر على المجردات والصفات الإنسانية، بينما الحضاري يشتمل على المادية وصفات الجماد.

وقد اعتمد تعريف الثقافة على وظيفتها وسيرورة تطور هذه الوظيفة الحركية، وهدفها. ولابدّ من ملاحظة أنّ الصفات الحضارية المادية ووعيها من قبل مجموعة، يربطها جملة هذه المواد والمعطيات الحضارية، قد أدّت لنشوء حالة تواشج وتمايز لدى شريحة أو فئة اجتماعية (عرق، أو طائفة، أو مذهب)، زيادةً على عامل أساسيّ، وهو ترابطها الذي قد يكون لعوامل ثقافية معنوية، نفسية وفكرية، ومذهب فكري ضمن أطر الفكر الديني الذي تطور وتمايز لينتج طوائف ضمن الإسلام بعيد الاختلافات الفقهية، ثم دخول الفلسفات المانوية والزردشتية من خلال نشاط حركة الترجمة في العصر العباسي، والاجتهاد والخلاف والشطحات الصوفية، وما إلى ذلك.

ومقولة تحدّي الثقافات في مجتمع ما تبدو مُفترضة وغير موجودة، لأنّ الثقافات، عالمياً ومحلياً، تتلاقح وتتنافس في تعبيراتها وتفسيراتها بين الجماعات أكثر من تناحرها، وما التحدّي إلاّ انعكاسٌ لاختلافات أيديولوجية وليس ثقافية.

يقول إدوار سعيد: «الثقافات بالغة التداخل، ومضمون كل منها وتاريخه يتفاعلان تفاعلاً بالغاً مع غيرهما، إلى درجة ينتفي فيها النقاء العنصري لثقافة ما، ويستعصى معها إجراء جراحات فصل بعضها عن بعض، التي هي جراحات إيديولوجية في الغالب، مثل جراحة فصل مفهوم الغرب عن الشرق». ومفهوم ثقافة أو ثقافات في مجتمع ما -وهو جزء من محور نقاشنا- بعيدٌ عن الثقافة بمعناها المطلق والعالمي، والتي تُعنى بتعريف المثقف. وليس من حاجة للإشارة إلى غرامشي في تعريفه للمثقف العضوي وهو «الذي يخدم في طروحه فئة، أو طبقة، أو جماعة اجتماعية أوحتى حزبية».

ليس من تحدّ بين الثقافات، لأننا علينا أن نتذكر أن تعريف الثقافة يضم بين ثناياه وظيفته وحركيته من حيث أنها مادة تاريخية، معنوية أو مادية، لها قيمتها الراكدة في كتب التاريخ أو رقيمات الأرض لحضارة ما، يتم الاشتغال عليها لوضع جماعة ما، ضمن إطار من التعامل والتواشج والقيم الناضحة بها، وبين غايات ذلك، وأطر النزوع لهذا العمل. فمن حيث هي -العوامل المادية التي تبعث على نشوء ثقافة خاصة بجماعة اجتماعية- مادة تاريخية قديمة ساكنة، تفيد في الإغناء والاحتفاء بها، وبث القيم التي تُستنبط منها للجميع، وتدعو لاحترام الآخرين من قبل الغير لوضعها محل التقدير. فتكون مصدر إغناءٍ وإثراء للمجتمع والدولة. أمّا من حيث شكل هذا النزوع في بثها -من حيث هي دعوة للتموضع الاجتماعي، والاصطفاف السياسي، والمحاصصة- فإنها تغدو تحدياً اجتماعياً يضرب بنية الدولة، خصوصاً في غياب ثقافة المواطنة، ومفهوم الدولة الحديثة، وروح الديمقراطية.

فعندما يكون الوعي بالوطنية منجزاً، والوعي الديمقراطي موجوداً، لايعود أي نشاط لثقافة ما مريباً ولا داعياً لأي تفريط بعقد الدولة الاجتماعي، لأن شكل الدولة وثقافة الجميع تحميه، ولا أعداء من الخارج يتربصون بهذه الدولة ويدفعون أقلية ما لفعل ما يثير الريبة تحت أي مسمى مشروع. إذ لايمكن لمجتمع لم يُطور مفهوم الوطنية، ويُرسخ قيم التلاحم في إطار وطن مشترك يضبط فقه الاختلاف وقيَمَه في نزوعات أفراده وجماعاته وفئاته، أن ينجز الديمقراطية.

وبينما كان شائعاً في الغرب ثقافة طبقة، ثم تم تجاوزها لثقافة جماهيرية، ثم خرج من يطالب بعودة ثقافة الطبقات. كان يمكن في مشرقنا لثقافة الطبقة، وأعني هنا الوسطى التي يمكن أن تكون حاملاً اجتماعياً لأي فكرة أو مبدأ، نشأت الثقافة الفئوية والجهوية التي بدلاً من عكوفها على التعريف بجملة الخصائص المميزة لفئة اجتماعية وبعض رموزها التاريخية القديمة وقيمها المنبثقة منها، تحولت لثقافة تربّص وعمل حزبي، فنشأ فكر أقلوي بتوجيه من الأنظمة، وتحريض مباشر وغير مباشر، لتفتيت الحامل الاجتماعي للتغيير، وذلك من خلال إعادة المجتمع لما يمكن تسميته مرجعيات ماقبل تاريخية، فئوية وعشائرية، ومن ثمّ طائفية. وفي مستويات أكبر من خلال تشجيع عامل الخوف لدى الفرد، ممّا يدفعه للبحث عن جماعته لتحميه، الأمر الذي يعني انضواءه تحت وصاية العشيرة والطائفة والعرق، مما يعني

انجرار النخب الاقتصادية والسياسية والثقافية لهذا التموضع، ووضع الشعب في الدولة ضمن اصطفافات جديدة. بينما لم يكن ذلك موجوداً في بدايات القرن العشرين، رغم استفحال ثقافة الغزو عند القبائل والفئات الاجتماعية بشكل واضح لحداثة مفهوم الدولة، فما كان هناك اقتتال بين مذهبين، ولا دينين، ولا إثنيتين. ولكن بعد قفزة العسكر للسلطة، في فترة حركة التحرر، ثبّت أولئك حكمهم باللعب على ذلك.

ففي مستوى التعامل الاجتماعي بين المكونات في المجتمع المشرقي عموماً، والسوري خصوصاً، كان الراسخ والواضح هو حالات التواصل والتواشج بين مختلف المكونات دون أية إشكالات، وغالباً ماتعارف الناس على طرق لحل مشاكلهم بين مكونين مختلفين مذهبياً أو إثنياً، بعيداً عن قوة القانون بل كان العرف يَجمع ولا يُفرّق، ويحترم حقوق العيش المشترك بشكل مسلّم به.

لم تكن ثقافة السريان ذوي الأصل القديم، والآشوريين، أقلّ احتراماً من ثقافة الأرمن الوافدين لسورية. وشعور العشائر العربية تجاه الكرد القادمين من تركيا إثر ثورة الشيخ سعيد في عشرينيات القرن الماضي تيمناً بكرد قديمين وُجدوا بعدد أقل بينهم لم تشبه شائبة حينذاك ولم يصبهم حيف ولا ظلم.

لكن الأنظمة الشمولية، وفي سورية نظام الأقلية الذي راهن على خوف الأقليات وأحزابها، أو تخويفها بعيداً عن ظلمه لقواعدها، مما حرف نشاط ثقافة أقلية ما ليغدو أيديولوجياً وسياسياً بعيداً عن تواشج القواعد الشعبية للأقلية الإثنية والدينية مع جوارها.

ولايمكننا استبعاد العامل الدولي، ومصالح الدول تجاه الشرق العربي المبتلى بكونه ساحة صراع اقتضت حرفَ الكثير من معاني القيم المأمولة، واشتغالاً عليها بطريقة وصائية، ولغايات غير نبيلة. فبالرغم من المعطى الثقافي الغربي الإنساني، لكن تسَّرب هذه القيم الغربية التي نحتاجها كان عبر أنظمتها في الوقت، الذي يطلق فيه الغرب مفهوم العولمة والقرية العالمية، يتبنّى تفتيت المفتت تحت مسميات رنانة، شنجت أطرافاً بدفعها أطرافاً أخرى للتشبث بها، لتحصل حقوق أصيلة ضمن بلاد يحكمها طغاة وجبابرة. ممّا يعني نقل مجتمع متعاون إلى حالة تمايز، ثم تناحر، ومن أنواع تثري إلى فئات تتناحر.

أدت خطط الغرب إلى الدخول باسم منظمات حقوقية استغلها ساسة ظلموا فئاتهم وشرائحهم بحراك سياسي، ولعله من قبيل الواجب التذكير بأن عربينا لايكره الكردي، ولا الكردي يكره العربي، ولكن كثيراً ما تظهر مواقف من كل طرف تُصرّح بكره الآخر له، ولابد من تعرية هذا الشعور والقرب منه لنجد أن الكره الظاهر المعمم هنا، ليست لشخصه ولا أصله، بل إن العربي كره القومية الكردية كحراك سياسي وفعل سياسي، لا كأصل حضاري وتاريخي نشأ منه الكرد. وكذلك الكردي كره القومية العربية كفعل سياسي. مما يعني أنه تم تناهب الشعب وتمزيقه في منطقة، وإيجاد شرخ بين مكونيه، من خلال فعل بعثين عربي وآخر كردي، اقتفى أثره في الطريقة والعمل. بينما المواطنان البعيدان عن هذا الحراك السياسي في القرى والأرياف، في الحي والعمل، لم نجد سوى تآزراً وتعاوناً على أرضية الشراكة التامة بين أناس يظن كل منهم أنه إنسان بجوار إنسان آخر، يشاركه نفس الهواء والوجع في فترة بات الجميع يبحث عن الدولة الوطنية بعيداً عن حالات التنازع.

لقد تم التأسيس لحالات تحدي المكونات ضرباً للتكوين المرسخ سابقاً، رغم نقضه من خلال ثقافة الفكر الواحد، لتهييج الناس والجماعات الاجتماعية، وجعلها فزاعات لبعضها. لتقتات الأنظمة على الاختلاف، ثم ينحسر مفهوم الوطنية الضابط لأي خلاف. وفي غياب دولة المؤسسات، التي تقوم بتنمية الشعور الوطني والوحدة وتؤسس للحقوق المتساوية، وفي غياب ذلك الشعور وضوابطه، يضطر المتشنج من قوم أن يستعين بحالة تُبنى له من قبل خارج ما، ممّا يُحيل لاستفزاز الآخر لإقصائه أكثر ، وهكذا دواليك، بين دينين، أو مذهبين، أو إثنيتين، تحت مسمى قومي مبالغ فيه، يستفز شعوراً قومياً على حساب الدولة الوطنية وقيمها.

ومفهوم الدولة القومية مفهوم ملتبس، فهو يعني أن الدولة العربية للعرب فقط مثلاً، وهو أمر مستحيل. بينما أن تكون دولة ما تعددية، وهويتها جزء من محيط عربي، على أن شعبها يتألف بنيوياً من جملة مكونات، هو الأكثر قرباً للحقيقة. فالشعب السوري واحد، والعرب والكرد والآشوريون وغيرهم، مكونات في الإطار العرقي، بينما تُحترم كل الأديان والطوائف.

ومثلما هناك أقليات تطالب بتطمينات من الأكثرية، يمكن القول أن شكل الدولة هو الضامن، ودستورها الذي يكتبه الجميع. يحق للأكثرية حرصاً على وحدة البلاد أن تطلب تطمينات من الأقليات بألاّ تضع في شكل الحكم مايبيح لسياسييها في يوم ما الحق بالانفصال، ذاك الذي تشم رائحته بمصطلحات وشروط وتغيير لديموغرافيا منطقة أوإقليم، وبآليات دعم دولي لايريد خيراً بالبلاد.

لاوجود إذن للثقافات المتناحرة، بل خصوصيات ثقافية، أو جماعات لها خصوصيتها الاجتماعية والدينية في إطار مجتمع متواشج، موجود ضمن حيز جغرافي ذو فضاء، بمعنى وطن واحد، يُفضي إلى تعددية ثقافية تحيل للتنوع والإثراء، وتتحول في ظروف تهتك بنية الدولة إلى معناها النكوصي الإرتكاسي، وهو التمسك بالجماعة خوفاً أو حرصاً على مصلحة، وهنا نقطة الافتراق. فعندما يبدأ العمل السياسي، سيبحث عن مسوغات ومبررات نجاحه، أو تحشيد مؤيدين له، فيبالغ في الخصوصية دفعاً نحو عمل قطيعي لايعتمد الموقف من الشخص والكتلة والتيار، بقدر ما يعتمد على مرجعيته المتحدر منها -عرق، أو دين- بينما العمل الجماعي ضمن أطر سياسية لا تعبر عن طائفة ومذهب يمكن لأي فرد أو كتلة أن تنجح، ومثال ذلك «الخطيب» وزيراً للأوقاف وهوالمسيحي، ورئيس الجمهورية الكردي «فوزي سلو» في ستينيات القرن المنصرم.

وبعيدا عن الإسلام السياسي الذي ليس بالضرورة أن يكون معبراً عن العرب والسنة، هناك برود لدى العرب عموماً، والسّنة كذلك، لأنهم تعاملوا كأمة تضم فيما تضم من بين ظهرانيها، أو تجاور على أرض ممتدة في وعاء دولة ما، لذا بدا ضعفهم التنظيمي، وانعدمت تلك الإجراءات التي تضمن حق أفرادها وأمنهم. بينما تعامل غير السّنة، وغير العرب، ظاهرياً وبتحشيد مقصود من قبل أنظمة الحكم سابقاً -وبعيدا عن عامتهم النقية - على أنهم طوائف وأعراق وقوميات تستغل فوبيا الخوف من الآخر ليتم دفع السّنة والعرب على أنهم قومية، والسّنة طائفة، مما يعني اختزالاً وتحزيباً ليكونوا أحد طرفي نزاع في أي دولة ذات أكثرية منهما.

والديمقراطية في ظل الدولة التعددية الواحدة، والابتعاد كل الابتعاد عن نظام المحاصصة السياسية هو الحل الوحيد لإدارة التنوع سياسياً، أما الثقافي فتضبطه روح الوطنية وتاريخ من التواشج بين مكونات الشعب السوري وأفراده.

الطريق إلى إدارة التنوع وتوثيق العيش المشترك

رياض درار - معارض وباحث اسلامي

رياض درار

عندما نتحدث عن مشروع ثقافي لإدارة التنوع وتوثيق العيش المشترك نسمع شعارات ونداءات تشبه الأمنيات ليس فيها من المشروع إلا الاسم. يقولون: «كم نتمنى على المثقفين أن يبدعوا طرقاً وأساليب ومنهجيات في بناء استراتيجيات ثقافية وطنية تحافظ على وحدة الوطن وتسقط المشروع الطائفي».

ويقولون: «حري بالمثقفين السوريين الأحرار اليوم أن يقاتلوا على جبهتهم الخاصة وينتصروا للتسامح وبناء الروح الوطنية، والإحساس بالانتماء لا بالطائفية والمذهبية، عليهم اليوم أن يعلموا الناس أن الناس تحكمهم مصالحهم ومواقعهم الاجتماعية لا طوائفهم ومذاهبهم، أن يعلموا الناس أن جغرافية الثورة هي جغرافية الوطن وليس جغرافية الطوائف والمذاهب، وأن الطائفية دمار للوطن».

ويقولون: «وحري بنا نحن المفكرين والمثقفين أن نحارب المشروع الطائفي، والحرب تكون بالثقافة، والكلمة والفكر، والعمل في مختلف المستويات والاتجاهات من أجل الانتصار للثورة والحرية والكرامة في بلادنا».

ليس استسهالاً بالموضوع، لكن الجيل الذي ننتمي إليه لم يكن إلاّ باحثاً عن نموذج يُغذي الوحدة الوطنية، ويُنمّي المشاعر القومية. ولم تخلُ مناهجنا من هكذا شعارات، وكلمات معبأة بالحشد العاطفي، والروايات التي تختزن هذا البعد الوطني الجياش، والتي تبدت في شعارات الأحزاب، وقوافي الشعراء، وسجع كهان الأدباء والمثقفين، فهل كان مخزون من النفاق يختفي وراء ذلك، أم أن استدراجاً مقصوداً أخفى كل هذا الحقد الطائفي الذي برز مكشراً عن أنياب الطائفية سوداء بغيضة؟

هذا المخزون النفاقي دفع ممدوح عدوان إلى كشفه ووصفه حيث يقول: «مشكلة المشكلات أن هذا كله يتم تحت شعارات براقة من الإخاء، والتكاتف الإجتماعي، والتعايش بين فئات تخفي كل منها الكراهية العمياء للفئات الأخرى، و تتحيَّن كل منها الفرص للانقضاض على الفئة الأخرى والفتك بها. إنها التقية العامة، والباطنية الخاصة بالمجتمعات المقموعة والمهزومة في آن ... وازدواجية مريعة بين الظاهر والباطن، الجميع يقولون الكلام الجميل الذي يتضمن المجاملة، والتضامن، والتعايش الأخوي، والجميع يخفون الأحقاد المبطنة والنيات المبيتة».

التعددية الثقافية والتنوع والعيش المشترك تعد في عمقها تجربة حياة، وتجربة عيش في كنف مجتمع أقل انعزالية وضيقا في الأفق، وأكثر حيوية وتنوعاً، ولو كان أقل تجانساً، لكن ما يبرز وجوه الصراع الخفية هو القمع والهزيمة، وبالتالي فإن تجاوز هذا المأزق التاريخي يكون باستيعاب متطلبات الحداثة وقيمها المعاصرة، وهذا يتطلب مزيداً من الحديث في شكل الدولة، ودورها، وأدائها.

التعددية الإثنو- ثقافية تعد تاريخياً مكوناً أساسياً في بنية مختلف المجتمعات الإنسانية، فهي تمتد بعيداً في التاريخ الإنساني، فهي ليست خاصة بالمجتمعات الحديثة، غير أن الجديد في الأمر أن الدولة المعاصرة أمست مطالبة، أكثر من أي وقت مضى، أن تأخذ بعين الاعتبار هذه التعددية التي تميز مجتمعها في إطار سياسة الاعتراف المتبادل لمكونات المجتمع؛ من أجل إرساء شكل للاندماج السياسي والاجتماعي بشكل يختلف عن النموذج الذي أرسيت على أساسه الدول القائمة على العصبية، دينية أم قومية، ودول الإرث القبلية، والجمهوريات الملكية.

فإذا كانت الدولة واحدة، والواقع المجتمعي متنوعاً ثقافياً، فهل من الواجب جعل هذا الواقع انعكاساً لوحدة الدولة، أم جعل الدولة انعكاساً لهذا التنوع؟ هل يتعين إخضاع التعددية الثقافية والتنوع المجتمعي إلى منطق أحادية الدولة الصارم، وذلك بغية الحفاظ على استمرارية تماسك الدولة والحؤول دون انقسامها وتصدعها؟ أم أن هذه الاستمرارية وهذا التماسك يتعين أن يتحقق من خلال الاعتراف بواقع التعددية ضمن الوحدة وبما يعززها؟ كيف يمكن المواءمة بين ضرورة الوحدة السياسية والتضامن المجتمعي من جهة، وأهمية التنوع الثقافي من جهة أخرى؟ هذا يدعو إلى صياغة نظرية معاصرة تنتهج نهجاً وسطاً للتوفيق بين كلا الاتجاهين، من منطلق أن وحدة الدولة لا تقتضي أُحادية ثقافة المجتمع، وأن التنوع الثقافي لا يفضي بالضرورة إلى تشظية الدولة وانقسامها.

إن الدولة، وهي كائن سياسي حيادي وظيفي، يجب ترفُّعها فوق جميع الأديان والأعراق والطوائف والمذاهب والطبقات، فهي كائن بلا هوية ايديولوجية أو عرقية أو مذهبية. إن توصيفها يحمل النفي لمن لا يحمل الصفة، فكل منفي من صفة الدولة سيصبح خارج إطار الدولة، وبالتالي سيُنفى عن المواطنة كل من لا يحمل الصفة، ذلك أن مبدأ التعددية لا يتحقق إلا من خلال الإيمان بوجود العديد من طرق الحياة المتنوعة التي تسمح لنا بأن نعيش

حياة كريمة. ومن خلال الاختيار الحر لنمط الحياة الإنسانية الذي يناسبنا. علماً أن التعددية والتنوع إنما يكونان في إطار الوحدة الجامعة والروابط المشتركة، فالشرائع المتعددة، على سبيل المثال، لا تتأتى تعدديتها إلا في إطار الدين الواحد، والحضارات المتعددة لا تتأتى تعدديتها إلا في إطار المشترك الإنساني العام. وبذلك، فإن التعددية هي تنوع قائم على تميز وخصوصية، فهي لا يمكن أن توجد إلا بالمقارنة بالوحدة وضمن إطارها، فلا يمكن إطلاق التعددية على التشرذم والقطيعة التي لا جامع لآحادها، ولا على الأحادية التي لا أجزاء لها.

إن طبيعة الدولة بشكل عام تعني بنيتها السياسية والتنظيمية والدستورية، وبالتالي كيفية إنتاج سلطتها السياسية وتبديلها أو توارثها، وكيفية ممارسة وظائفها العامة في الحرب والسلام، والسياسة والسيادة، والحقوق، وعلاقات الدول.. إلخ. وهذه الجوانب جميعاً تُحدد طبيعة الدولة ومكانها من الكل الاجتماعي الذي يحمي طموحاته وحرياته ويستجيب لدواعي تطوره، وهذه الصورة لطبيعة الدولة «حظيت بأقل اهتمام وسط موروثنا السياسي والثقافي، وهذا ما أكده دعاة التنوير والإصلاح الديني والسياسي من كافة الاتجاهات، وربما تزامن هذا الإغفال أو جاء متذرعاً بظروف الكفاح السياسي والانشغال بهوية الأمة وعقيدتها عن طبيعة الدولة وقواعدها، وكل هذا لا يجرد موروثنا الديني والفلسفي والأخلاقي من خزان عامر بالقيم الإيجابية، كالعدالة، والإنصاف، والمساواة، والحرية وغيره، إضافةً لصفحات غنية في بحث شروط الحاكم العادل، بل هو لم يخلُ من حكام صالحين جسدوا هذه القيم بأشخاصهم على أرفع المستويات، غير أن هذه الظاهرة ظلت محصورة في شخص أصحابها وليس في طبيعة الدولة نفسها التي افتقرت غالباً لقواعد الإصلاح والصلاح، كما أن هذه الصفحات المضيئة تخص موروثنا الديني والفلسفي والأخلاقي، والذي نميزه عن الموروث السياسي والثقافي لأنه يقع على نقيضه ويشكل وضعاً تاريخياً بسط سلطته وديمومته على امتداد القرون والساحات العربية».

ومع هذا فليست هذه طبيعة الدولة التي نرجو قيامها، ونأمل منها استيعاب هذا التنوع الإثني ـ ثقافي. الدولة المدنية التي تحفظ حق المواطنة كقيمة إنسانية عليا، تجسد معنى خلافة الإنسان على الأرض وبما تستهدفه من انتماء ومسؤولية وتسامح وعقلانية ومساواة، وهي قيمة ترفع من مكانة الفرد من كونه رعية إلى مسؤول عن حرية وتعليم وانتماء وحقوق. «من هذا المنطلق يتوجب القول : إن الدولة الصالحة بطبيعتها هي دولة مدنية، وعمل من أعمال التاريخ والتطور الاجتماعي والسياسي والحقوقي والثقافي، الذي لم ننجزه بعد»، وهذا لا يعيب النص الديني «فالنص الديني لم يحدد طبيعة الدولة، بل جعلها مرهونة بتطور المجتمع واتساع وعيه ومسؤوليته عن إدارة شؤون حياته بأفضل سبل الحكم التي تصون قيم الحق والحرية والعدالة والمساواة».

التعدد الثقافي كان يراد له أن يختصر في مفهوم المواطنة التي تعني التمتع بالحقوق والالتزام بالواجبات في إطار الدولة القومية، لكن بروز التكتلات السياسية الإقليمية الكبيرة، وتنامي النزاعات العرقية والدينية، يمكنها أن تدفع للسؤال عن مصير المواطنة. وأيضاً مع انبثاق أوعودة حلم الفلاسفة والمفكرين للدولة العالمية، يمكن السؤال عن صفة المواطن العالمي كيف ستكون؟ وبدون ذلك كيف يمكن أن تعالج مسألة التعدد مع تزايد الحديث عن حقوق الإنسان، وعن الديمقراطية، والمواطنة المتساوية؟

وفي بلادنا صعود الإسلام السياسي صار عقبة أمام التنوع، ومسألة العيش المشترك حيث الفقهيات التي تسم المختلف بالردة والكفر، والآخر بالذمي أو المحالف والموالي، وصعود قضايا تهدد الوطنية، كبروز الطائفية والصراع بين المذاهب، والأقليات والإثنيات، وبالتالي استمرار النظرة الشمولية في الحكم والسيطرة وإدارة الموارد. وهو ما يتعارض كلياً مع التصور الإسلامي لحقيقة الوجود الإنساني، وحقيقة العمران الإسلامي القائم على منظومة قيم الحرية، والمساواة، والعدالة، والغيرية، والتسامح، والفاعلية التاريخية، والاجتهاد والاستخلاف. وهي المنظومة التي تتحدد بمقتضاها قيمة الإنسان في الدارين مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى. وأن سعيه سوف يرى﴾، وقوله عز من قائل: ﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائلَ لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. وهو ما يختلف مع التجربة التاريخية العربية الإسلامية، حيث نجد تراثاً مهما من الأدبيات المحتفية بالتعددية الحضارية بمللها ونحلها، بشعوبها وقبائلها، بعشائرها وطوائفها. فمثلما تنشأ الحقوق الفردية من سعي كل إنسان لتعزيز حريته الشخصية، فإن الحقوق الجماعية تنبع بدورها استجابة لمصلحة كل جماعة في المحافظة على استمراريتها. الأمر الذي يعني تحقيق التوازن بين أهمية الفرد وأهمية الجماعة، أي التوازن بين الحرية الفردية والانتماء الثقافي، انطلاقاً من حقيقة أن المجتمع مكون أصلاً من أفراد وجماعات ثقافية لا من أفراد وحسب. وهو ما ينسجم مع التصور الإسلامي للعلاقة بين الفردي والجماعي، بين الخاص والعام.

ولقد لعب الغرب، الذي بلور مفهوم المواطنة وتقدم من خلال النموذج الديمقراطي في الإدارة، دوراً بين الإغراء والخشية، فبعد الامتداد عبر اختراق البنيات الثقافية للدول بالفنون والصناعات والاستهلاك، فقد قاد الاستعمار، والخشية من نتائجه، للدفاع عن الذات والتحصن وراء الهوية. وهذا فاقم من السيطرة الداخلية على الحريات واستلاب الحقوق، وحتى إلى التعصب. إلا أن التحرر من الاستعمار ألهم النضال من أجل إلغاء التفرقة العنصرية، مثلما أن إلغاء التفرقة العنصرية ألهم النضال من أجل حقوق الجماعات الفرعية والتعددية الثقافية.

وفي هذا الإطار تمت الدعوة في الفكر العربي والإسلامي المعاصر إلى شرعية الاختلاف «كأساس لتعدّدية لا تعني الشتات والتشتّت، ولا دعوة إلى طائفية أو قبلية، وإنما هي نظام لمجتمع مدنيّ متعدّد العناصر والمصالح، تتعاقد حول مؤسّسات بناء على وفاق عامّ متجدّد بالوسائل الديمقراطية»، من منطلق أن الديمقراطية تعد بمثابة «نظام مؤسّسيّ لإدارة تعدّدية المجتمع المدنيّ»، حيث مملكة الحرية للجميع فكراً وتنظيماً.

وبالمجتمع المدني يمكن تَشكّل كل القوى وتحت أي اسم ديني أوعقدي وايديولوجي أو مذهبي، حيث كل الحريات موجودة، والدولة تمارس دورها الوظيفي بحيادية وكحكم بين الجميع، والمجتمع المدني ميدان الديمقراطية والحريات، والدولة تكثيف لفكرة القانون، والقانون مركزي يطبق على جميع المواطنين دون النظر إلى الاختلاف. وباستقلالية المجتمع المدني وحيادية الدولة يمكن البدء بالسير على طريق إدارة التنوع وتوثيق العيش المشترك، والخلاص من إرث الاستبداد بكافة صوره.

مراجعة حول استدلال الثقافة

علاء زيّات - ناشط مدني، عضو الهيئة الإدارية لـ (تماس)

في كلّ مرة أطوِ بها الغسيل (البدلات الداخلية حصراً) أرتب القطعة العلوية مع بعض والسفلية مع بعض، وأضعها في الخزانة كل على ركن، وحين تلزمني بعد الاستحمام آخذ واحدة من كل ركن.

لمَ لا أرتب الآشياء في ثنائيات بحسب وظيفتها الاستعمالية، وهو أكثر عملية وأوفر للوقت؟.

الميل للتصنيف وفق التشابه هو واحد من ترتيبات العيش، رغبة كامنة في منح اللاوعي إدارات صغيرة ليتفرغ الوعي لقضايا أهم، وواحدة من تنظيم المجتمعات وايجاد العلاقات وجدران التواصل والفروق بين المكونات، في النبات والكيمياء والتاريخ واللغات... الخ.

للتصنيف هذه الأهمية في تسهيل حياتنا، وهو يُسهلها فعلاً حين لايتصلّب ليصير هدفاً بذاته، أي أنْ نَهيم بالتصنيف، وأنْ نقصّ أجنحة الأشياء لتناسب العلب التي نصنعها لها، هنا تُصبح الحياة والمجتمع والقوميات والدين تابعاً للتصنيف وهو ما يحيل لاوعينا الى إسار التعسف والديكتاتورية.

حين يكون التصنيف لأهداف راحة الناس يلتزم معاييرهم ويلتزم تطورهم، لذا يماشي بإطراد رغبتهم المستمرة في الاكتشاف وكسر القوالب (كم من نظرية ضحدت سابقتها، وكم من آية نسخت سابقتها، وكم من قانون ساد طويلاً لنجد خطله وخطره فيما بعد، وكم من شعوذة نسفها الطب، وكم من سياسات أسقطتها أخرى).

الأمر المهم هو أن هذا الأمر (راحة الناس والعيش بواقع أرقى إنسانياً) ليس اكتشافاً ثقافياً بالمعنى البحثي، هو تطور مُطرد لقواهم الإنتاجية أولاً، ثم الذهنية، يجعل من عتبات وعيهم أعلى، فتنهال على أشكال النشاط البشري بالنقد والتمحيص لابتداع منظومات تحاكي عتبة التطور.

أفهم -أنا على الأقل- أنه في الحالة المعاكسة (انهيار القيم الانتاجية أولاً ثم الذهنية) أن رغبتنا بالتصنيف ترتفع إلى درجة الهوس والتقديس، لدرجة يصبح السؤال الأهم عنك ككائن هو الرغبة في إيصالك للعلبة المناسبة (وأحياناً غير المناسبة) لكن التعليب يظلّ هدفاً. هنا تغدو الثقافة -وكل نواتج البناء الفوقي- تبريرية ومستكينة وأقرب لموظفي الخدمة القابعين على أبواب دوائر معقدة الإجراءات، يُحصّلون عيشهم عبر تسهيل معاملاتك ولكنهم غير قادرين على دحر البيروقراطية لأنها سبب وجودهم.

بعد هذه المقدمة الطويلة علي أن أوضح ما تقدمت به أسئلة الملف من إثارات مختلفة:

١. في تعريف الثقافة، وفي تعريف التعددية الثقافية : هل هناك جماعات ثقافية فعلاً؟

في جوانبها الثلاث:

-العضوي القابل للتوريث.

-والتحليلي القابل للمقارنة والفرز بين خصوصيات عناصره المحلية.

-وللعلاقة بالدين كمكون يصعب تجاهله (وهي مرتكزات الفعل الثقافي لدى اليوت).

تغدو عملية تعريف الثقافة تعريفاً ساكناً كنوع من تعليب تبسيطي تمهيداً لعرضها على واجهات المحال. في حين يُمكن فهم ذلك بطريقة أقل قسراً، فالثقافة، والتعددية الثقافية، والجماعات الثقافية، هي بمجملها نواتج عمل تاريخي طويل وغير منتهٍ، وحين نُقدم لقطة ثابتة لحظية على هذا السياق فمن الضروري عدم الركون إليها طويلاً (تعليبها) كيلا تصير الثقافة عربة جرّ متثاقلة تحمل ركاباً بليدين.

مشكلة الافتراض حول وجود جماعات ثقافية هي معضلة لسببين، سيكون الجواب بنعم ورطة لأن التالي سيكون ماهي التخوم الفاصلة بين تلك الهويات المحلية الصغرى، ومن سيفرض جدول أولويات الرئيسي والثانوي (خلطة السياسي الإثني، أو مفهوم الالزاس واللورين من جديد). **والقضية المعضلة الثانية**، هل يمكن وضع تخوم بين ثقافات لم تنضج هوياتها المعرفية إلى المستوى الذي يُعبّر عن تقدميتها بالمعنى الاقتصادي الاجتماعي (علاقات إنتاج عالية التنظيم -منظومات إنتاج معرفي - نقد للتراث - تجريبية واعية - حداثة).

ومن هنا ينفتح الحديث حول دلالات العيش المشترك وهو اصطلاح يحمل في طياته أبعاد نفيه، فإرساء قواعد العيش المشترك وفق المصلحة المتبادلة فقط، لا يمنح بعداً كافياً للثقافات يُبرر تواصلها ورؤيتها للتفاعل الإيجابي، أو اقتناعها بجذرية نشوء واحدة، ولا بنقطة اندماج مقبلة. يمكن للهند واورغواي صناعة تعايش مشترك وفق المصلحة فقط وهذا لا يمنح انتقالاً كافياً للأثر الثقافي بينهما، إنه حوار عقود تصدير واستيراد، وربما لمواد تحمل بعداً ثقافياً في مضمونها (فنون، وكتب، وتوابل، ووصفات للطبخ) ولكنها محدودة الأثر . إضافة إلى أن التعايش كمفهوم مختلف عن المساواة في المواطنة، حتى في الكيمياء فان الالكترونات المشتركة بين الأكسجين والهدروجين لتكوين الماء بصيغة H_2O ثبت استحواذ الأكسجين للالكترونات فترة أطول، هناك ثقافات قاهرة اليوم متعدية وغالبة بالنظر لاستنادها إلى عوامل قوة مختلفة (القوة الاقتصادية، والقوة العسكرية، والقوة التقنية لعصر المعلومات، والقوة المعرفية) أو الكل معاً، ولكنها كمنحى رئيسيّ، بغياب مفهومها عن التقدم الاجتماعي، تنضم إلى الشركاء السابقين لتكون قامعة (بالمعنى الاقتصادي الثقافي)، وقهرية (بالمعنى الثقافي العسكري)، واحتكارية (بالمعنى الثقافي التقني)، وآخراً متعالية وعنصرية (بالمعنى الثقافي المعرفي)، وتنسحب هذه اللوثة على هرم التوضع الثقافي الدولي للمنتجين الكبار القامعين لثقافات أقلّ فأقلّ فأقل.

إنّ عيشاً مشتركاً هو مرآة لقصور الهوية المحلية للمجموعات الثقافية، وإن تطويره هكذا، دون تطوير الهويات بمعناها التقدمي النقدي، يعني محاولة بائسة للحديث عن وحدة مجموعة بشرية طالما أن ملامحها شبه ممسوحة.

٣. كيف يمكن للدولة-الأمة أن تتعامل مع تحدي التنوع الثقافي بين مكوناتها؟

سيكون صعباً على الأطراف حل هذه المعضلة دون اختراق كاف لقضيتي التبعية والدين.

يفرض التقسيم الدولي للعمل تنظيماً مختلفاً للمجتمعات، وفق مساهمتها الدولية في الاقتصاديات، والتبادل المعرفي، وتقنيات التواصل، وتطوير منظومات الانخراط في قوة العمل الدولية كمشاركين نشطاء منتجين وغير مستهلكين (الصين، والهند، وماليزيا، وبشكل أقل تركيا) هذا التوضع الطابقي في منظومة الإنتاج الدولية يستتبع منتج ثقافي على سويات متناسبة مع اقتصادياتها (ربما تُشكّل الولايات المتحدة استثناءً، وذلك لفرط نشاطها العسكري وقدرتها على تشكيل قوة ردع دولية على المستويين العسكري والمالي)، وأمام واقع من هذا النوع سيكون للثقافات القاهرة قدرة تحكم عالية في تكييف متطلبات الثقافات الأدنى، وبخاصة مع

استحواذ تقني وإعلامي، ووسائط اتصال شبه احتكارية. إنّ تكييف دول الأطراف لمنتجها الثقافي الوطني (بأبعاده الثلاثة: المتوارث، والتحليلي، والديني) سيكون صعباً للغاية دون انفتاح عالمي مع مخاطر التنافسية غير العادلة. تُقدم الصين نموذجاً متوارثاً عن الدولة الصارمة، وتُقدّم اليابان نموذجاً متوارثاً عن دولة ناهضة بالتصور الغربي لما بعدالحرب الكونية الثانية، وفي إيران نموذج من نوع مختلف، وتركيا أيضاً، وهي نماذج تغصّ بالهويات والثقافات، ولكن مشروع الدولة الوطنية كان مخرجاً متفقاً على ولوجه..

في النهاية وعطفاً على ما سبق، هل للدولة السورية بصيغتها القومية قدرة على فعل ماسبق أن فعلته دولٌ أخرى؟

أظنه السؤال الأهم والأصعب، وبخاصة وسورية في واقع تكاد خطوط الفصل بين الأشياء معدومة من جهة، وفي الوقت ذاته لا تجد قطع البازل أية فرصة للتقارب والبحث عن عقد ربط جيدة. على المستوى الدولي هناك مساحة من التفلت يمكن السماح بها ضمن طابق دول الأطراف، وسيكون على السوريين بذل جهدٍ للإفلات من هذا الطابق، وهي فرصة كبيرة اليوم، حيث كلّ شيء عرضة للتغير والنقد والرفض والاستبدال. في جو من هذا النوع تدخل الثقافة بدورها نفق المراجعة على جوانبها الثلاث دفعة واحدة (العضوي، والتحليلي المحلي، والمحمول على العامل الديني) ولا أستبعد أن يجري تغييرٌ كبيرٌ على جوهر تناولنا المعرفي للمفهوم الثقافي خارج التعليب وخارج اللقطة المحنطة، وسأكون مرتاحاً أن أضع الأشياء بحسب قيمها الاستعمالية في ثنائيات، وأُنهي بساطة التصنيف بحسب الشكل.

التعايش السلمي و تأبيد حالة الاستثناء

مازن كم الماز - كاتب سوري

قد تبدو كلمات التعايش السلمي ذا وقع جيد على الآذان، السلام خاصة .. لكن التعايش السلمي بين البشر ليس مبدأ يمكن قبوله بشكل غير نقدي، فهو في الحقيقة يحمل من المعاني السلبية أكثر مما يبدو للوهلة الأولى. فهو يضع «الآخر» في مكانة أدنى بالبداهة، و يحكم سلفاً بإدانته، لكن الحكم الذي يصدره بحق ذلك الآخر يكون هنا مخففاً، بتهمة أنه «مختلف». يكتفي بالحكم عليه بالعيش على الهامش، لكنه عيش على الأقل. إنّ تقبل الآخر لا يجعله شريكاً في الجماعة البشرية، والحقيقة أن هذا جزء من عملية خلق و إدامة التوتر الضروري لاستمرار المجموعات الهرمية، لأن مثل هذا التوتر الدائم هو ما يمنح البعض الحق في الهيمنة على كل الآخرين. في مجمل الأحوال، سواء برفض الآخر قطعياً (اضطهاد و قمع «هويته» و حتى محاولة إلغائه)، أو جزئياً (كما في حالة «التعايش السلمي»)، يستمر تقسيم المجتمع ووضع بعضه في مواجهة بعضه الآخر، و التشديد على الطبيعة التناقضية للعلاقات بين أفراده لتبرير إنشاء قوة منفصلة عنه، تزعم أنها تلعب دور «صمام أمان» لتلك النزاعات. وهذا ما قصده كارل شميدت (أحد منظري النازية) بتعبير «حالة الاستثناء»، التي تُصبح مبرراً، حتى لحكومات الدول الديمقراطية، لتعليق العمل بحقوق الإنسان و فرض إجراءات قمعية «استثنائية». إن لعبة السلطة هي خلق «حالة استثناء دائمة». والتعايش السلمي هنا، هو نتاج لمحاولة عقلنة حالة الاستثناء تلك، أو التناقضات التي تعمل على تأبيدها واستثمارها لقمع المجتمع. حالة العقلنة أو القوننة تلك التي رصدها فوكو في حفرياته المشهورة، و التي يمكن أن نأخذ مؤسسات العقاب كنموذج لها مع صعود البرجوازية و الحداثة، قامت السلطة الجديدة بـ«عقلنة» العقاب، فلم يعد العقاب طقساً رمزياً مفرطاً في قسوته للدلالة على السلطة و ممارسة جسدية تعتمد على الألم، بل أصبح مقنناً. عقاب عقلانيّ أكثر منه جسديّ بالقدر الضروري فقط ليؤدي وظيفته في خدمة أغراض السلطة. لم يعد القمع صاخباً، باختصار لأن موضوعه -أي الإنسان- تغيرت صفته القانونية، أو شكل علاقته بالسلطة التي يخضع لها. فكرة التعايش السلمي لا تلغي التناقض بل «تقوننه»، و تسعى عن طريق قوننته إلى تأبيده، و تفترض وجود قوة فوق المجتمع «مسؤولة عن سلامته» في وجه تلك التناقضات التي تعمل كنوازع لتدميره، قوة تتمتع بسلطات استثنائية، بما في ذلك ممارسة العنف ضد الجميع عند الضرورة، و دائماً مراقبة المجتمع، و عقابه الاستباقيّ أو الوقائيّ كلما رأت ذلك «ضرورياً». النظام السوري والأنظمة العربية، وإلى حد ما، المعارضة السورية المؤسساتية، هي أمثلة جيدة على حالة الاستثناء الدائمة تلك. جميعاً تُقدّم نفسها على أنها «وسيط» ضروري لاستمرار سورية موحدة، التي قد يضاف إليها عند الضرورة صفات أخرى تداعب أساساً مزاج الشارع (مدنية، إسلامية، علمانية). لكن القضية ليست فقط في إدامة التناقضات داخل المجتمع، بل أيضاً في جعلها غير قابلة للحل، ضمان ألاّ يتمكن البشر من أن يحلّوا هذه التناقضات بأنفسهم. هنا بالذات يكون التعايش السلمي هو الشعار الأنسب لأية قوة سلطوية أو للنظام القائم: فهو يُرسّخ التناقض بين أفراد المجتمع، ويحلّه على نحو غير متساوٍ، ليُبقِ جذوة السخط قائمة، و في نفس الوقت يمنع الناس من أن يبادروا بأنفسهم لحل تلك التناقضات، وأية محاولة لنقاش تلك التناقضات علناً و تفكيكها تدخل في باب الاستثناء، وتعتبر على أنها انتهاك للتعايش السلمي. هنا يتعين على السلطة أن تستعد دائماً لانفجار كل التناقضات الكامنة في المجتمع، سواء داخله أو بينه وبينها، لتحاول بسرعة إعادة التوازن لسلطتها، و «استعادة شرعيتها»، أو عند اللزوم استبدالها بسلطة «أقدر على القيام بوظائفها في إعادة الاستقرار للمجتمع». إن تجاوز هذا المأزق يتطلب شغلاً هائلاً، خاصة من الناس أنفسهم. إنه التحدي الذي يواجه البشرية طوال تاريخها العاقل تقريباً، ولا يمكن هزيمة الهيمنة دون أن يصبح المجتمع قادراً على حل تناقضاته أو إدارتها بنفسه، وإلاّ فإن شبكة علاقات الهيمنة التي نسجت حول أفراده ستجدد نفسها باستمرار.

سهرة سلمونية

محمد الجرف - مركز المواطنة المتساوية (مساواة)

في ليلة شتوية باردة من ليالي كانون الأول الماضي، استغل أحد الأصدقاء سفر زوجته، وقام بدعوتنا إلى سهرةٍ «سلمونية»(١) في منزله. وسهرة «سلمونية» تعني: أن نجتمع ذكوراً فقط، وأن نُفرط في المشروب، وأن نبتعد عن ترف السُكْر في السهرات. بمعنى ما: هي سهرة بلشفية بامتياز!

كان صديقنا حريصاً على إضفاء نوع من التوازن على الجلسة، فكنّا عشرين شاباً، عشرة معارضين للنظام السوري، وعشرة معارضين للثورة عليه، وطبعاً لم يعُد مقصد صديقنا خافياً: تعالوا كسلامنة لنناقش ما يحدث في سورية، لنرَ بماذا، ولماذا نختلف.

كان الهدف الأساسي الذي يدور في ذهن صديقنا هو الإجابة عن سؤال مُقلق: لماذا يختلف مجموعة من الشباب المهتم بالشأن العام لحدّ ما -المنتمين لمنطقة واحدة، والمتشابهين في ثقافتهم وفي خلفياتهم لدرجة كبيرة- في الموقف من حدثٍ متشابك بحجم الحدث السوري.

مالذي اقترفناه نحن في هذه الجلسة؟

نحن أعلنا، وبوضوح، بأننا ننتمي إلى هوية ثقافية واحدة ومحددة، لدينا حس الانتماء المشترك، إذ نعتقد جميعنا بتماثلنا في الأصول والمعتقدات والموروث الثقافي من عادات وتقاليد، هذا من جهة. ومن جهة أخرى، أبعدنا كلّ من لا ينتمي إلينا عن هذه السهرة الجميلة، عن سهرتـ «ـنا»، أَقْصينا من اعتقدنا أن هويته الثقافية لا تسمح له بالسهر معنا.

هذان الفعلان: التضامن من جانب، والإقصاء من جانب آخر. هما الوظيفتان الأهم لأي هوية ثقافية، وهو ما يُطلق عليهما «ويل كيملكا» تسمية التعددية الثقافية. وللتذكير، فإن فكرة التعددية الثقافية انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية بدايةً، في الستينيات، ضمن حملات المطالبة بإنهاء التمييز العنصري ضد السود، وأصبحت فكرة سياسية ناشطة ضد التمييز العنصري مع تصاعد النضال من أجل الحق في الاختلاف عن الآخر، وحق المساواة في الحقوق المدنية بين جميع الفئات المهمشة اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً. وطبعاً، تختلف تعريفات التعددية الثقافية، وهي في المجال السياسي مصطلح يُستعمل للدلالة على جماعات متميزة عن بعضها، وتعيش مع بعضها في منطقة جغرافية محددة، وميزاتها هذه تُشكل بالنسبة لها الخزان السياسي، وأساس تلاحمها. وتقوم القيادة السياسية لكل جماعة بالتأكيد مراراً وتكراراً على أنّ هذه الصفات، والقيم، والمعتقدات المشتركة داخل كل جماعة، تُشكل مصدر الفخر والاعتزاز لأعضائها(٢).

طبعاً، لا يمكن إنكار اختلاف الجماعات البشرية عن بعضها ثقافياً، وهذا الاختلاف ناتج عن فرادة كلّ جماعة، وخصوصية مسارها التاريخي، وأطوار تشكلها، ولذا فإن التعددية الثقافية لا يجب أن تحمل حكم قيمة، لا يمكن القول إن هذه الجماعة «أكثر» قيمية من جماعة أخرى، لاختلاف مطبخها مثلاً.

وطالما أن عملية الاعتراف هذه لا تولّد عنفاً، ولا تحمل تأثيرات عنفية في طياتها، فإنّ تركها للقوانين كي تعالجها أمرٌ ممكن في ظلّ دولة قوية. ولكن سورية تُعاني من ظاهرة «الانبعاث الهوياتي» وهي معاناة، لا لأن هذا الانبعاث يُشكّل بحدّ ذاته علّة، بل لأن طرح هذه الإشكالية، وإدارتها يتم التعامل معهما بخصوصية كبيرة، وبإقصائية قاتلة تُهدد وجود الكيان السوري برمته. خصوصاً، وأنّ هذه الظاهرة لم تكن لتحدث لولا انهيار الدولة كمفهوم في أذهان السوريين. مع العلم أن الخلاف الأساسي بين الكيانات «المُسْتَعمرة»، وسورية مثالاً جيداً بالطبع، وبين الدول الغربية، هو أن الأولى واجهتها قضية الأقليات قبل ترسيخ الدولة، وبناء المجتمع، وتحقيق تنميتها الاقتصادية، أي قبل أن تتم عمليتها النهضوية. فيما عاشت الدول «المُسْتعمِرة» مراحل متعاقبة ومتوالية من الديمقراطية والازدهار الاقتصادي(٣).

حديثاً، ترتبط الدعوة إلى التعددية الثقافية بالدعوة إلى «دولة المواطنة مُتعددة الثقافات»، من كونها دعوة لإزالة وضعية الأقلية- الأكثرية التي أوجدتها وضعية عملية بناء الدولة- الأمة (وهي عملية خديجة في بلدان مشرقنا)، لتقوم مقامها وضعية المواطنة متعددة الثقافات، إذ يعتقد مؤيدو التعددية الثقافية أنها بهكذا وضعية تعمل على تقوية أواصر المجتمع، وتنشر روح التسامح بعرض صور وأنماط الحياة المختلفة لكل المواطنين مهما كانت أصولهم، فالتنوع الثقافي الخلاق يثري الحياة الإنسانية ويمد المجتمعات المختلفة بالحيوية، بما يعني حقوق كل جماعة ثقافية في التعبير الثقافي عن نفسها، في حدود حق المواطنة المكفول للجميع . غير أن ذلك الوضع يثير إشكالية مهمة بالنسبة لمعارضي التعددية الثقافية، فتعدد الجماعات في المجتمع قد يفرض مطالب متناقضة في الحياة السياسية خصوصاً في المجتمعات المتعددة الثقافات، وهم يستشهدون بأمثلة عديدة عن المشاكل المستعصية التي تطرحها التعددية الثقافية، ففي بريطانيا مثلاً أشار تقرير أُجري في أعقاب أحداث الشغب التي وقعت في البلاد في عام ٢٠٠١ إلى هذه القضية. وحذر التقرير من أن الجاليات المختلفة في بريطانيا تعيش حياة متوازية لا تتميز بالاختلاط الحقيقي، وطالب التقرير بإدخال تعديلات كبيرة على سياسات الدولة في هذا المجال. ويرى منتقدو التعددية الثقافية أن هذه السياسة تصنف الناس بحسب لونهم وأصولهم التي ينحدرون منها مما يكرس معاملتهم بأسلوب مختلف. وهذه الإشكاليات وُجدت في الغرب الليبرالي الديمقراطي، المنجز لدولته، فما بالك في مجتمعات كمجتمعنا، يُعاني من تدهور على معظم الأصعدة، خصوصاً هشاشة ثقافته السياسية وضعف التشاركية بين مكونات المجتمع، وبين المجتمع ودولته. فكيف يمكن لهذه المجتمعات أن تعمل؟

الجواب، هو في صياغة عقد اجتماعي مقبول، يعمل بكفاءة، ويستند إلى قاعدة من القيم المشتركة التي تتقيد بها كل الجماعات المؤسسة له -لا الجماعات المنتصرة فقط، وفي سورية، يمكن اعتبار الجميع هنوداً حُمر، بمعنى أن الجميع سكاناً أصليين- رغم الهويات المركبة، ورغم الآراء مختلفة بشأن القيم المشتركة وأولوياتها.

يقول المنصف المرزوقي: نحن بحاجة إلى تعليم الشباب الاعتزاز بالهويات المركبة والمتعددة.

حفلت سهرتنا تلك، بالنقاشات الحامية، والحميمية أيضاً، اختلفنا كثيراً، وشربنا كثيراً. واتفقنا على تكرار اللقاء بدورية، لكننا لم نفعل.

1- سهرة سلمونية: نسبة إلى مدينة «سَلَمْيَة»، وهي مدينة تقع في وسط سورية، وتتبع إدارياً لمدينة حماة.

2- د. مجيد، حسام الدين: إشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر «جدلية الاندماج والتنوع»- مركز دراسات الوحدة العربية- سلسلة أطروحات الدكتوراه- الطبعة الأولى- بيروت ٢٠١٠- ص ١٤.

3- د.عبد الباقي، صابر أحمد: المواطنة في إطار التعددية الثقافية- على الرابط http://kenanaonline.com/users/drsaber/٨٠٣٧١/posts

الجوهر والتجليات

هيثم خوري - طبيب و كاتب سوري

أولاً: في تعريف الثقافة، وفي تعريف التعددية الثقافية: هل هناك جماعات ثقافية فعلاً؟

الثقافة هي: المعتقدات، والعادات، والتقاليد، والفنون، والآداب، والعلوم، والمؤسسات، وطرق العيش الاقتصادية والاجتماعية. باختصار هي كل مظاهر العمل والفكر الإنساني، لفرد أو مجموعة من الأفراد في مكان أو زمان معين.

بهذا المعنى فإن المكون الثقافي لكل فرد مختلف عن الآخر، إذ لا يمكن لشخصين أن يتشابها تماماً في كل العوامل التي ذكرتها سابقاً، إذاً لدينا تعددية ثقافية بقدر ما يوجد وما وجد من ناس على وجه الخليقة على مر العصور.

بهذا المعنى فإن الفرد ينتمي لجماعات ثقافية متعددة، فهو ينتمي للجماعة التي يتشابه معها في المعتقد، وتلك التي يتشابه معها في العادات والتقاليد، وتلك التي يتشابه معها في العلوم والآداب والفنون، وتلك التي يتشابه معها في المهنة.... الخ.

إذاً ففي كل مجتمع لدينا مجموعات ثقافية متعددة، وهذه المجموعات تتقاطع وتتفارق، فمثلاً لو أخذنا التجار في دمشق، ستجد أنهم يتشابهون مع تجار حلب في بعض المكونات الثقافية، ولكن سيختلفون عنهم في مكونات أخرى بسبب اختلاف الانتماء الجغرافي. الشئ نفسه ينطبق على تجار دمشق والعمال الدمشقيين فهم سيتشابهون معهم في نقاط بحكم الاشتراك في المنطقة الجغرافية، وسيختلفون عنهم في نقاط أخرى بسبب اختلاف المهنة. الشئ نفسه سينطبق على مجموعتين مختلفتين في المعتقد ولكن تشتركان في التواجد الجغرافي، أو تشتركان في العقيدة ولكن تختلفان في الموقع الجغرافي. حتى في مناطق تشترك في الموقع الجغرافي والعقيدة ستجد اختلافات ثقافية بين قرية وأخرى، وحي وآخر، وحتى بين شخص وآخر.

ولكن يجب أن ننظر إلى هذه الظهورات والتنوعات الثقافية على أنها تجليات وليست جواهر. والحال، إنها تجليات لجوهر واحد، فالناس مهما اختلفت تجلياتهم فإن جوهرهم واحد، هذا الجوهر المكون من عقل وعاطفة وضمير، إنه واحد في كل الناس مهما اختلفت انتماءتهم العقائدية، والمهنية، والتعليمية... وفي كل بقاع الأرض وعلى مر العصور. أعتقد بهذا المعنى فقط يمكننا إدراك العمق الحقيقي لعبارة «التنوع ضمن إطار الوحدة».

المشكلة تكمن عندما نجعل من اختلاف التجليات عائقاً أمام رؤيتنا لوحدة الجوهر. عندها نجعل بيننا بين الآخرين حواجز وهمية، تفقدنا قدرتنا على التفاعل معهم، والاغتناء من خلالهم، الفرح بهم. عندما سنعيش بعزلة عن الآخرين، فيصبحون أسراراً بالنسبة لنا، نخافهم ويخافونا، لأن كل مجهول مخيف، وربما تتحول العزلة والخوف إلى شك وريبة، وحتى إلى خلاف واقتتال.

إنه حالة من حالات العبث أن نجعل بيننا بين الآخرين حواجز وهمية، تفقدنا قدرتنا على التفاعل معهم، والاغتناء من خلالهم، الفرح بهم، إذاً لماذا يفعل الإنسان هذا بنفسه؟! للإجابة على هذا السؤال لا بد من العودة إلى علم النفس بفروعه المختلفة. علم التحليل النفسي يضع السبب الأساسي في «الإحساس بعدم الأمان» (insecurity)، وهذا الإحساس لا ينبع من تهديد خارجي، وإنما هو حالة لاواعية تسيطر على كل مكونات النفس الأخرى. علم النفس الاجتماعي يتفق مع التحليل النفسي في هذا، ولكنه يعلل منشأ الإحساس بعدم الأمان بتعرض الإنسان المزمن لظروف اقتصادية واجتماعية (وسياسية، طبعاً) غير مستقرة، زرعت فيه هذا الإحساس بعدم الأمان. أما المدرسة المعرفية في علم النفس فتعزوها لجهل الإنسان بوحدة الجوهر الانساني. وأخيراً فإن المدرسة السلوكية، فإنها تقول أن هذه المشاعر وهذا السلوك متوارثة، وكل جيل يتعلمها من الجيل الذي سبقه. والحال أن كل هذه التفاسير صحيحة، ومنشأ هذه العبثية هو متعدد الجوانب.

ثانياً: من وجهة نظرك ما هو مفهوم العيش المشترك، هل تصحّ التسمية؟ (على اعتبار أنّ العيش المشترك يُشير إلى أنّ هناك جماعات متناقضة ينبغي أن تتعايش مع بعضها).

حقيقة في اللغة العربية، هناك فرق في المعنى بين كلمتي «عَيش» و «تعايش»، فإذا كانت كلمة عَيش كلمةً حيادية لا تخفي في طياتها أي معنى غير ظاهر. على النقيض، فإن كلمة تعايش تعني أن هناك أكثر من طرف على تباين يقومون بجهد إيجابي من أجل العيش المشترك، وبالتالي فإن سؤالك حقيقة هو حول «التعايش المشترك».

عندما كتب جون لوك (John Locke) كتابه (On toleration) عام ١٦٨٩ ، كانت أوروبا الغربية بأكملها ترزح تحت نير تعصب طائفي عنيف، لم يجد جون لوك أفضل من كلمة (Toleration) ليعنون بها كتابه، وهذه الكلمة تعني في العربية «تحمل» أو «تقبل» والتي هي أكثر سلبية بقليل من «تعايش». لماذا استخدم لوك هذه الكلمة؟ هل كان لا يدرك وحدة الجوهر البشري، وأن الانسان خُلق ليتفاعل مع الآخرين بفرح، وليغتني روحياً من خلالهم؟ أبداً، هذه كانت عقيدته. ولكنه أدرك أن الجموع المفعمة بالانفعال لا يمكنها أن ترى ذلك، لذلك هو طلب منها ضبط سلوكها وانفعالاتها الهدامة. فولتير جاء بعده بعدة قرون فأطلق في وجه الطائفية صيحته المشهورة «اسحقوا العار» (Écrasez l›Infâme)، لأنه أدرك صعوبة التخلص من هذا المرض الوبال.

إذاً لنقل أن مجرد رفض الآخر لأنه مختلف عني، مهما كان هذا الاختلاف، هو مرض خبيث. إنني كطبيب مختص في أمراض الدم، عندما أعالج الأمراض السرطانية الخبيثة، أستخدم تارة العلاج المسكن، وتارة العلاج الكيماوي، وأحياناً كليهما. لهذا حقيقة لا يهمني كثيراً إذا دعا البعض في علاجه لرفض الآخر المختلف إلى تقبل هذا الآخر، أو دعا إلى «سحق العار»، المهم الوصول إلى النتيجة الفضلى. والحال أننا سنجد في مجتمع متنوع كالمجتمع السوري أن البعض سيستجيب إلى الدعوة إلى «تقبل الآخر»، والبعض الآخر سيستجيب إلى «سحق العار»، على أمل أن تكون هذه الدعوات ليست إلا مراحل للوصول إلى المرحلة التي يصبح الآخر المختلف مصدر اغتناء وفرح داخليين.

ثالثاً: كيف يمكن للدولة- الأمة أن تتعامل مع تحدي التنوع الثقافي بين مكوناتها.

ورابعاً: عطفاً على المحور السابق، هل الشكل الراهن للدولة القومية ما زال صالحاً لحلّ مشاكل الاندماج والاختلاف بين مكونات المجتمع السوري؟

في العالم المتقدم، لم يعد مفهوم الدولة-الأمة قوياً كما كان في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لم يعد صهر الجميع في ثقافة واحدة ضرورة لكي نشترك في وطن واحد، قبول التنوع الثقافي، لا بل الافتخار بهذا التنوع الثقافي أصبح هو السائد.

هناك دول كثيرة أصبحت تفتخر بأنها متعددة القوميات، ومنها الولايات المتحدة وكندا، حتى الدول التي كان لها باع طويل في تغذية مفهوم الأمة-الدولة أصبحت تفتخر بتعدد ثقافات مواطنيها. بالمناسبة مونتسيكيو اعتبر ذلك شرطاً من شروط الديمقراطية الحقيقية.

==========

١- اختار الدكتور هيثم خوري الإجابة على محاور الملف بشكل منفصل.

الحرب في سورية، والطائفية

نيك دان فورس، وغراهام بيتس
عن موقع: dissentmagazine

ترجمة: غياث عبد العزيز

صورة المقال الأساسية

كان إعلان القيادة العامة الموحدة للمعارضة الإسلامية محرجاً بشكل خاص لأولئك الذين ينكرون وجود طابع طائفي للصراع في سورية. وبوجود مقاتلين من جانبي الصراع يؤمنون أن هناك حرباً دينية، نعتقد أن اللحظة قد حانت لتقديم تفسير جديد حول ترسيخ هذه النظرة أكثر من أي وقتٍ مضى.

لقد ذكر العديد من الكتاب أن مؤشرات التوتر الطائفي قديمة في سورية حتى قبل الحرب، ومثالها ندرة التزاوج بين الطوائف، بالطبع، في الولايات المتحدة هذا التزاوج نادر أيضاً، ويشكل نسبة عشرة بالمئة من أعراق المجتمع الأمريكي، أكثر المجتمعات شمولاً في العالم.

من الصعب بالنسبة لنا نحن الأمريكيون، أن نتخيل بلدنا ينزلق إلى حرب شاملة في السنوات القليلة القادمة، قد يقول أحد الأجانب أن ذلك ممكن بسبب الكراهية المتبادلة بين السود والبيض والتي تعود لاكثر من ٢٠٠ سنة قبل تأسيس البلاد، وذلك في الواقع مبرر سخيف، فلا أحد يملك هذه النظرة الآن والجميع قد نسوا العبودية، وكذلك كان الوضع بين الطوائف السورية منذ عشرات السنين، العوامل الإقتصادية والاجتماعية التي جعلت الناس يتفائلون ببشار الأسد كرئيس مصلح في البداية، هي ذاتها التي ساهمت في دفع المجتمع السوري إلى هذه الهاوية.

منذ عقد من الزمن، أطلق الأسد برنامجاً لتحرير الإقتصاد السوري، في الواقع كان هذا البرنامج سبباً لازدهار طبقة التجار في المدن، وخلق فرص جديدة للفساد. بينما بقي المزارعون على الهامش، الحكومة السورية كانت تحاول دائماً التسويق على أنها تدعم الطبقات الريفية، من خلال تقديم الإرشاد الزراعي ودعم الأسعار. إلا أن فتح الباب أمام المنتجات التركية والأردنية جعل من الصعب على المزارعين السوريين في ظل ضعف التمويل منافسة تلك المنتجات، إضافة إلى انخفاض منسوب المياه الجوفية وسنوات عدة من الجفاف وضعتهم في موقف صعب حقاً.

لذلك، لم يكن من المستغرب أن تبدأ الثورة من المناطق التي تعتمد على الزراعة، محافظة درعا في الجنوب كانت أول المنتفضين، تلتها المناطق الريفية في إدلب شمال غرب سورية. كانت درعا لوقت طويل تعد من المناطق الموالية للنظام، ولذلك كانت بداية الثورة منها الأمر الذي أذهل النظام، سعى زعماء القبائل السنية في درعا إلى التحالف مع السنة في حمص وحماه وحلب، وخصوصاً حماه، المركز التقليدي المعارض للنظام. وتوحدت بعض تلك المناطق تحت راية طائفية. وتطور الأمر: حيث أصبحت الطائفية وسيلة لإعطاء التماسك للثوار، وفي الوقت نفسه، بقي رجال الأعمال السنة المستفيدين من النظام وعلى وجه التحديد في حلب موالين للنظام لفترة طويلة قبل أن يدخل بعضهم في صفوف المعارضة.

إضافة لذلك، كانت ثورات الربيع العربي في مصر وتونس بمثابة الشرارة التي أحرقت عشب الاقتصاد السوري، كانت مؤسسات البلاد تفتقر للقوة في إدارة التوترات الإجتماعية، وفي نفس الوقت بدأت بالتعبئة الطائفية لدى جانبي الصراع، عندما أُنشأت الدولة السورية، كانت السلطات الاستعمارية الفرنسية تتبع سياسة الأقليات، وتجند العلويين والمسيحيين في وحدات عسكرية محلية تستخدم للسيطرة على مناطق السنة، بالنسبة لفرنسا، كانت هذه السياسة بمثابة ميزة لها، إلا أن الجيش السوري بقي كياناً وطنياً متعدد الطوائف عندما نالت سورية استقلالها عام ١٩٤٦.

عندما استلم حافظ الأسد السلطة في بداية السبعينات، كانت سورية قد عانت بالفعل من أكثر من عشرة انقلابات، ولذلك سعى الأسد لتشجيع أقاربه والمقربين منه على استلام مناصب سياسية وعسكرية رفيعة المستوى من أجل توطيد سلطته. وبعد ذلك بمدة، قام الأسد بقمع خصومه، ثم عمل على إنشاء قاعدة عريضة من الشعب، وقد استغل الأسد موقفه الثابت في الدفاع عن القضية الفلسطينية في كسب شعبية كبيرة بين شرائح المجتمع السوري. وعندما استلم بشار الأسد الحكم، حاول تحرير الاقتصاد، وصنع السلام مع إسرائيل. ونتيجة لذلك، عندما اندلعت الثورة عام ٢٠١١، لم يكن يملك سوى استخدام العنف وطلب الدعم من شركائه في الطائفة الموجودين داخل نظام الحكم.

ولا يمكننا تجاهل السياق الدولي للموضوع الطائفي، وكلا الجانبين يستخدم السياسة لمناشدة حلفائه الروس والأمريكان، لكن الأسد يستخدم اللغة الطائفية لكسب الحليف الإيراني، كما يستخدمها الثوار في التقرب من قطر والمملكة العربية السعودية. كما يستخدم حزب العدالة والتنمية في تركيا خطاباً إسلامياً لتعزيز دعمه للمعارضة. على الرغم من الحماس الزائد قبل سنوات من طرف إيران وتركيا لتحسين العلاقات الإقتصادية والسياسية مع الأسد.

عندما كنا نؤكد في ضوء هذه الحقائق على أن الصراع في سورية لم يكن طائفياً، لم نكن نقصد التلميح إلى الكراهية الدينية التي نراها اليوم، والتي كانت في السابق مجرد. بل كنا نحاول القول بأن العنف الطائفي هو نتيجة لتلك التطورات السياسية والإقتصادية التي أشرنا إليها، تلك هي القضية، وهو أمرٌ أصبحنا ندركه نحن الأمريكيون بالفطرة عند التفكير به بعد أن شهدنا قضايا مماثلة سابقاً في بلدنا.

HAWA SMART

هوا سمارت

دمشق. حمص. حماه 103.2

حلب. ادلب. اللاذقية. دير الزور 99.6

من الساعة

6 صباحاً - 12 مساءً

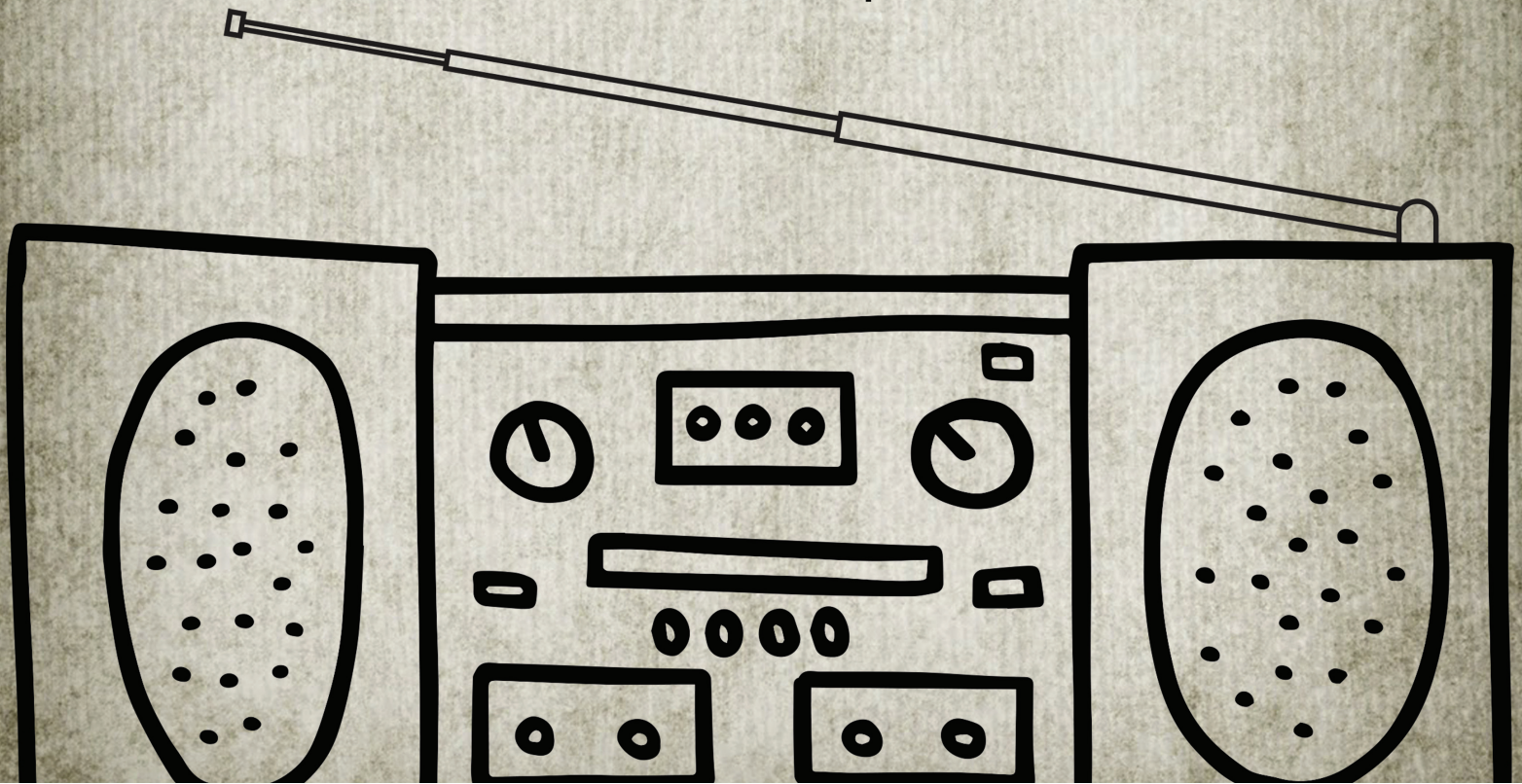

حوار مع السياسي الكردي فؤاد عليكو

أجراه : حواس محمود

شهدت الساحتين العراقية والسورية في الأشهر الأخيرة أحداثاً ومجريات دراماتيكية، لا زالت آثارها تتفاعل حتى يومنا هذا، فبعد انسحاب قطعات كبيرة من الجيش العراقي من الموصل وغيرها من المدن العراقية في حزيران الماضي على إثر هجوم تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام على المناطق ذات الغالبية السنية. وقد تمدد تنظيم الدولة الإسلامية ضمن سورية بفعل امتلاك أسلحة تم الاستيلاء عليها من الجيش العراقي، فاحتلت مناطق كثيرة في دير الزور، واقتربت من حلب لتحاول اقتحامها، وهاجمت سنجار لتقتل وتحاصر الايزيديين، واقتربت من أربيل. فكان التدخل الأمريكي المحدود لإيقاف هجمات تنظيم الدولة الإسلامية، وسقط المالكي ليستلم حيدر العبادي رئاسة الوزراء في العراق. وضمن هذه المعمعة، دخلت بعض قوات حزب العمال الكردستاني والـ (ب ي د) على خط المعركة الجارية في سنجار ومناطق أخرى من العراق.

حول كل هذه المستجدات، حاورنا الأستاذ فؤاد عليكو عضو اللجنة السياسية لحزب يكيتي الكردي في سورية، وعضو برلماني سابق.

كيف تنظرون للثورة السورية وقد تجاوزت العام الثالث في ظل الأزمة الإقليمية الراهنة على إثر التدخلات ذات الطابع الإقليمي، ومن ثم الدولي؟

-لم يعد خافياً على أحد بأن الثورة السورية تمر في مرحلة حرجة بعد أن فقدت الكثير من المواقع الإستراتيجية عسكرياً، مثل ريف دمشق، والقلمون، وحمص، وريفها، وشرق حلب، ودير الزور، والحسكة، والرقة، سواء من قبل النظام أو من قبل تنظيم الدولة الإسلامية، وذلك نتيجة عدم تلقيها الدعم العسكري المطلوب من قبل الدول التي تدعي صداقتها للشعب السوري. أما سياسياً، فإن الغطاء السياسي للثورة، والمتمثل بالإئتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، فهي أيضاً تعاني من حالة الإنقسام والشللية بين مكوناتها نتيجة الخلاف القطري التركي من جهة، والسعودي من جهة أخرى، بسبب التطورات التي حصلت في مصر، والتي انعكست سلباً على هيكلية الإئتلاف، وذلك باعتبار هذه الدول الدول الثلاث من أكبر الدول الداعمة للثورة السورية سياسياً واقتصادياً ولوجستياً، وبالتالي لم يعد الائتلاف قادراً على العمل كفريق موحد كما كان أو كما يفترض. كما أن الدول الغربية، وعلى رأسها أمريكا، لم تقم بأي عمل جدي لدعم المعارضة عسكرياً للوقوف على قدميها، والتقدم باتجاه إسقاط النظام، وكل ما فعلوه هو معالجة تداعيات الأزمة، وتقديم بعض المساعدات الإنسانية لا أكثر، ومعظم ما قدم تم عن طريق مؤسسات النظام، وعليه نستطيع القول بأن الثورة السورية ولدت يتيمة رغم كل التضحيات التي قدمت، لكن هناك بوادر أمل في الأفق، خاصة بعد أن أصبح تنظيم الدولة الإسلامية يهدد أمن المنطقة برمتها.

ما هو دور كرد سورية في رسم مسار التغيير في سورية بعد أن دخل تنظيم الدولة الإسلامية على خط خلط الأوراق في سورية والعراق؟

-أنتم تعرفون بأن الكرد السوريين متمثلين في تيارين سياسيين، تيارٌ متمثل في المجلس الوطني الكردي وهو التيار الأكثر شعبية في الوسط الكردي ووقف إلى جانب الثورة السورية منذ البداية، وشارك الشعب السوري في المظاهرات المعارضة للنظام، وتبنت شعارات الثورة في إسقاط النظام الدكتاتوري بكل رموزه ومرتكزاته، وهذا التيار عضو فعال في الإئتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة، ومصيره ومستقبله مرتبط بمصير الثورة ومستقبلها. والتيار الثاني متمثل بمجلس غرب كردستان وهو مجلس أسسه الـ «ب ي د» وهو جناح حزب العمال الكردستاني في سورية مع بعض القوى المؤيدة له، وهذا التيار أطلق على نفسه الخط الثالث أي لا مع النظام ولا مع المعارضة، ويملك قوة عسكرية كبيرة. وقد غض النظام النظر عن تمدده وانتشاره في المناطق الكردية، وتم تسليمه بعض المواقع والمناطق غير الإستراتيجية، والنظام يعتبره قوة موالية له رغم رفض قادة الـ «ب ي د» المتكرر لذلك، كما أن أنصار الـ «ب ي د» وبعد ن قويت شوكتهم مارسو، ويمارسون حتى الآن سياسة كم الأفواه لكل معارض لسياستهم، والتضييق على النشطاء من المجلس الوطني الكردي، واعتقالهم ونفيهم أيضاً. كما أصبح رفع علم الثورة السورية جريمة يحاسب عليها رافعوها، وعليه فإن كل طرف له مساره المختلف عن الآخر ، والتطورات السريعة القادمة في المنطقة سوف تفرز عن نتائج، قد يعيد الجميع حساباتهم من جديد وأين يجب أن يقفوا .

ما هو دور حزبكم (اليكيتي الكردي) ضمن الحركة الكردية، وضمن الائتلاف، في ظل ميلان ميزان القوى في المناطق الكردية لصالح الـ (ب ي د) وهو الفرع السوري لحزب العمال الكردستاني في سورية؟

-إن حزبنا يعتبر أحد الأحزاب الرئيسة المؤسسة للمجلس الوطني الكردي، وله دوره الفاعل والمؤثر على الساحة السياسية الكردية وضمن المجلس الوطني الكردي الذي هو شريك أساسي مع قوى الثورة والمعارضة السورية، لذلك سوف نستمر ببذل كل جهدنا من أجل تفعيل دور المجلس الوطني الكردي

وتطوير أدائه على الصعيدين القومي والوطني، يقيناً منا بأن الجهود الفردية لم تعد مجدية في هذه المرحلة الحساسة من تاريخ شعبنا، ولا يزال المجلس الوطني الكردي يملك الأرضية الشعبية الواسعة، رغم كل الضغوط التي يمارسها حزب الـ «ب ي د» من خلال القوة العسكرية التي يملكها، على غرار ما مارسه حزب البعث بحق الشعب السوري، وأعتقد بأن هذه المرحلة آنية وستزول بزوال الوضع الذي تمر به البلاد بشكل عام وانتصار الثورة على النظام الدكتاتوري. وهذه القوى المسيطرة على الأرض الآن لن يكون لها مستقبل في سورية، سواء أكان النظام، أم الـ «ب ي د»، أم تنظيم الدولة الإسلامية. والمرحلة القادمة حبلى بتطورات كبيرة على الساحة الإقليمية بشكل عام، والسورية والعراقية بشكل خاص. وسوف يندم الـ «ب ي د» على ما مارسه

من قمع للقوى السياسية الكردية، وفرض رؤيته بالقوة، بدلاً من البحث عن المشتركات والعمل من خلالها، وكان من الممكن أن تشكل الإتفاقية الموقعة بين الـ «ب ي د» والمجلس الوطني الكردي في هولير ١١-٧-٢٠١٢ الأرضية المناسبة للتفاهم بين الطرفين، إلاّ أنّ الـ «ب ي د» تنصل منها وأوصل الأوضاع إلى مانحن عليه الآن.

كيف تنظرون للتدخل الأمريكي المحدود في العراق ولماذا لم تتدخل أمريكا في سورية لإنقاذ الكرد في حين تدخلت في العراق لحماية الكرد؟

- الوضع في إقليم كردستان العراق مختلف تماماً عن الوضع في سورية، لأن أمريكا تنظر للعراق بشكل عام، ولكردستان العراق بشكل خاص، كحليف استراتيجي نتيجة التضحيات الكبيرة التي قدمها الأمريكيون في إزاحة نظام صدام حسين، ولن يقبلوا أن تذهب تلك التضحيات سدىً ويتركوا العراق لأعتى قوة تكفيرية في العالم اليوم، وتسلمها منابع النفط العراقي على طبق من ذهب. كما أن أمريكا بدأت تنظر للكرد كحلفاء استراتيجيين في هذه المنطقة الاستراتيجية عالمياً، كما أن تدخلها لا يلقي أي معارضة من أي جهة دولية، لذلك تدخلت مباشرة وحسم الموقف لصالح الإقليم أولاً، ولصالح العراق في المرحلة القادمة، أما بالنسبة لسورية فالوضع مختلف تماماً لأن النظام السوري له حلفاء إقليميين ودوليين أقوياء كإيران وروسيا يرفضون أي تدخل. ويكفي أن نستشهد بأن الروس والصين استخدموا الفيتو أربع مرات في مجلس الأمن ضد أي قرار يدين النظام السوري، وبالتالي فهما حذرتان جداً من أي تدخل عسكري في سورية، قد يكون الخروج منه صعباً للغاية، إضافة إلى هيمنة القوى الدينية عسكرياً على مفاصل الثورة السورية على الأرض كتنظيم الدولة الإسلامية التي لبست عباءة الثورة بدايةً، والنصرة وأحرار الشام والجبهة الإسلامية، وكلها قوى تطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية، وبعيدة عن كل ما هو مدني وديموقراطي، وبالتالي لا تكمن مصلحة الغرب وأمريكا في دعم قوى قد تشكل غداً وبالاً عليها، كما حصل لها من خلال دعمها لطالبان في أفغانستان ضد النظام الشيوعي هناك في ثمانينات القرن المنصرم.

ما هي انعكاسات الحدث السوري والعراقي على لبنان بعد أن ساد هاجس وخوف من انتقال عدوى تنظيم الدولة الإسلامية إلى لبنان؟

- لا شك، إذا لم يتم ردع هذه القوة البربرية التي اجتاحت سورية والعراق، والتي سيطرت على مساحة جغرافية تعادل ضعف مساحة سورية، وتمتلك إمكانات مادية وعسكرية هائلة، فإنها سوف تجتاح المنطقة برمتها، ولن تسلم دولة في المنطقة من تدخلها. ولبنان تعتبر الدولة الرخوة سياسياً وعسكرياً، وبالتالي سوف يكون لبنان هو الهدف الثاني بعد العراق وسورية، ومن ثم الأردن وهكذا. لكنني أعتقد بأن القوى الإقليمية والدولية، بما فيها القوى التي كانت تغض الطرف عن ممارساتها أو دعمها سراً تحقيقاً لأجنداتها الخاصة، أصبحت مدركة تماماً لخطورتها على المنطقة، وسوف تتعاون فيما بينها من أجل لجمها وتحجيمها، ومن ثم القضاء عليها رغم قساوة المعركة وطول مدتها.

ما هي رؤيتكم المستقبلية لكرد سورية، هل سيتفقون مع النظام على إدارة ذاتية يتم قوننتها والاعتراف بها من النظام، أم أن الكرد سيتحركون من جديد باتجاه الائتلاف لاستكمال الثورة السورية، وإسقاط النظام. وهل الظروف في هذه الحالة متاحة للكرد؟

- أعتقد أنه إذا ما بقيت سورية دولة موحدة بجغرافيتها الحالية، فإن أنسب حل للشعب السوري هو النظام الإتحادي الفدرالي، لأن نسيج المجتمع السوري تفكك بشكل كبير، ولم يعد ممكناً التحكم به من خلال نظام مركزي مهما كانت القوى التي تقف وراء هذا النظام. وبما أن الشعب الكردي جزء من الشعب السوري، فإن القضية الكردية سوف تجد طريقها للحل عبر النظام الفدرالي تلقائياً من خلال إقليم موحد، وبمشاركة كافة المكونات التي تتواجد في تلك الجغرافيا، وبالتالي لا معنى للإدارة الذاتية في الدولة الفدرالية. أما بالنسبة للشق الثاني، من السؤال فإننا لن نتخلى عن الإئتلاف السوري وقوى المعارضة ونذهب بمفردنا للحوار مع النظام.

ألا ترى أن الكرد أخطؤوا، أو بالتحديد الـ «ب ي د» بالاتفاق مع النظام بصورة غير مقننة وغير معترف بها محلياً، وإقليمياً ودولياً؟

-بالتأكيد لقد ارتكبوا أكبر خطأ تاريخي في ذلك كان حين أعلنوا عن الإدارة الذاتية دون أي مرتكز قانوني، فهذه الإدارة لا تستطيع تسجيل طفل على اسم والده في السجلات الرسمية، ولا تزال جميع المرافق الإدارية تدار من قبل النظام ما عدا الجانب الأمني فقط، والنظام يعتبر هذا الجانب قوة رديفة له لاستتباب الأمن في تلك المنطقة لا أكثر ، وبالتالي لا ينطبق عليه مفهوم سلطة الأمر الواقع المتعارف عليه دولياً، ولا توجد أي صيغة قانونية بينها وبين النظام لنقل الصلاحيات الإدارية، لذلك مطلوب من الـ «ب ي د» مراجعة جذرية لمواقفها تلك. وإلاّ كان اعتبر ما يُمارس الآن مجرّد قفزة في الفراغ والمجهول لا أكثر .

هل سيساهم تسليح الكرد في العراق في تمهيد الظروف لبناء الدولة الكردية في العراق ومن ثم في سورية؟

-أعتقد أن التفكير بإعادة النظر بخارطة سايكس/ بيكو الآن سابق لأوانه، لأن المجتمع الدولي لم يتفق بعد على إعادة النظر في الخارطة السياسية للمنطقة، لكن سوف تُبذل جهود كبيرة في التخلص من مركزية الدولة، وتشكيل أقاليم إتحادية منسجمة إلى حد ما، وذات صلاحيات واسعة على غرار ما هو قائم اليوم في دولة الإمارات العربية، وإذا ما فشلت تلك التجربة، ولم تتمكن مجتمعات تلك الدولة من التوافق على شكل الدولة واستمر الصراع، عندها يمكن الحديث عن تفكيكها وتأسيس دول جديدة.

كيف ترى طلب وليد المعلم من المجتمع الدولي مساعدة النظام في محاربة الإرهاب؟

- وليد المعلم يشعر بالنشوة اليوم لما يمارسه تنظيم الدولة الإسلامية من إرهاب وقتل للشعبين السوري والعراقي، وللجيش السوري في الرقة. لا لشيئ سوى القول بأن نظريته في الثورة السورية بأنها (مجموعة من المندسين والإرهابيين) أُثبتت عملياً. وهو يدرك تماماً بأنه قد بذل كل الجهود الأمنية السورية والإيرانية لتحقيق هذا الغرض، ودعم كل القوى المتطرفة من خلف الجدران، وقد أفرج بشار الأسد والمالكي عن كل الإرهابيين من السجون بطرق شتى. واليوم يريد أن يقطف ثمار جهده الطويل لربط الثورة بالإرهاب، ليعود منتصراً للمجتمع الدولي من بابه الواسع، بالمشاركة في القضاء على الإرهاب في سورية والعراق. وهو يحلم ويدرك أن هذا الباب هو الباب الوحيد الذي يستطيع الولوج فيه، ويتم تأهليه دولياً ويبقى على سدة السلطة في سورية، وتنتهي الثورة، وتذهب دماء الشهداء هدراً. لكن هيهات فعجلة التاريخ لن تعود للوراء أبداً، والنظام زائل مع الإرهابيين عاجلاً أم آجلاً.

التسول .. والجوع ... والحرب على الشعب

دمشق-علي عمار

دمشق ٢٠١٤

يطلبون منك المساعدة بحجة أنهم مهجرون، قد تقدم لهم ما تستطيع، وتعطيهم بعض المال، حينها يغمرونك بالدعاء والثناء وطول البقاء، وقد لا تستجيب لبعضهم فيكون نصيبك بعضاً من الشتائم، أو نظرات حادة يغشاها عدم الرضا من امتناعك عن المساعدة!.

ظاهرة التسول ليست جديدة على الشارع السوري، ولم ترتبط بأي ظرف ومكان، ولكنها اتخذت طابعاً جديداً بعد الحرب الدائرة فوق الأرض السورية وعلى كل المكونات السورية، فاستغل البعض فيها مأساة النزوح والتشرد والتهجير القسري لكسب المزيد من التعاطف لزيادة مدخولهم اليومي.

لكن ذلك لا ينفي بالطبع أن التسول ارتفع منسوبه بشكل كبير نتيجة للظروف القاسية التي يمر بها المجتمع السوري، فكثير من العائلات هُجرت وتركت مناطقها إلى مناطق أكثر أمناً واستقراراً، وكثير من العائلات فقدت معيلها ورب أسرتها، فاضطروا إلى النزول إلى الشوارع لكسب رزقهم وسد رمق العيش، إذ لا يمكننا إغفال أن بعضاً منهم اضطر لمزاولة مهنة التسول لأنه لم يجد أمامه سبيل آخر.

«قُسمُ الحاجة» وليس قَسمُ المسؤولية!

(بسم الله الرحمن الرحيم، أنا مهجر من سنة ونصف، وأقسم بالله العظيم راح بيتي ومالي وأهلي وأولادي، وما لنا غير الله وأهل الخير، والأجر والثواب على الله ..).

هذا ليس قَسماً لحكومة الحلقي، ولا لمسؤول يتولى منصباً جديداً. إنه قَسم يضعه رجل ستيني أمامه في أحد شوارع مدينة دمشق، وبجانبه كرتونة مليئة بعلب الأدوية الفارغة، للتدليل على الحاجة للعلاج ..

هذا المشهد، ومثل هذا القَسم، ما كنت لتشاهده قبل ثلاث سنوات ونصف، أي ما قبل الحرب التي تدور رحاها فوق الأرض السورية.

لكنه ليس المشهد الوحيد الذ ي تواجهه خلال توجهك للعمل أو السوق، وحتّى أثناء جلوسك في الحديقة التي أصبحت مكاناً لنوم الكثير من العائلات!.

تشاهد المأساة تتنقل أمامك من مكان لآخر، ومن زاوية لأخرى، تجدها عند إشارة المرور، وتحت شجرة، وفي نفق، وحتى في مدخل السوق، تجدها أمام المحلات. إنك تشعر أن كل نساء ورجال وأطفال سورية يتنقلون أمامك طلباً للمعونة، وكأن التسول هو الهدف الذي سعى إليه من يقوم بقتل الشعب وتشريده.

واقع مأساوي، مرير ومؤلم، وكأن السوريون باتوا في الشوارع يستجدون لقمة عيشهم اليومية!.

البعد الاجتماعي والاقتصادي:

إن الارتفاع الحاد للأسعار، وغلاء المعيشة، إضافة إلى أن الكثير من الناس أضحت عاطلة عن العمل، كل هذا دفع كثير من المواطنين الفقراء إلى مزاولة مهنة التسول، لأنه ما من طريقة أخرى بنظرهم لكسب المال. ولا يمكننا أن ننكر أن ظروف الحرب، والتشرد، والقتل، والتمذهب، كانت مناخاً مناسباً لازدياد وتضخم هذه الظاهرة التي تشكل لوحة سوريةلية يومية في شوارع وحارات دمشق والمدن السورية الآمنة.

إن العامل الاقتصادي يؤثر على جميع أفراد الأسرة، وله تأثير كبير على نمو الشخصية. وقد يشكل دخل الأسرة غير الكافي لإشباع الحاجات اليومية لأفرادها، من مأكل ومشرب ومأوى، سبباً يجعل البعض يفتش عن سبيلٍ للخروج من هذا الضغط والحرمان، بالدخول في أعمال هامشية كبائع سلعة رخيصة، أو متسول في الشارع.

«قسوة الصوان» دعتها إلى الشارع:

يلجأ بعض المتسولين إلى عرض خدماتهم، مثل مسح زجاج السيارة أو حمل الأكياس إلى سيارتك، وما يدفع الأطفال في عمر الورود إلى مثل هذا التصرف، هو الظروف القاسية التي تجاوزت في قسوة حجر الصوان!.

فما الذي يرغم أماً كي تبعث بأطفالها الثلاثة إلى الشارع، وهي التي هدها حظها العاثر من مدينة إلى أخرى، حتى استقرت في دمشق. فهي أضحت بين ليلة وضحاها أرملة وأماً لثلاثة أطفال، تركت بيتها ومدينتها قسراً وهرباً من البطش والقتال.

تقول: «رغم خوفي المستمر على أطفالي في الشوارع، إلاّ أني لا أملك لهم إلاّ الدعاء والتوفيق بجمع ما يتيسر من مال لسد ثمن احتياجاتهم الضرورية ...»

وتتابع: «إذا كان التسول هو الملاذ الآمن والحل الوحيد لأعيش بكرامة دون خوف من استغلال البشر لي ولأطفالي، فإني أفضله على ذلك، فمهما كان التسول قاسياً لن يكون أقسى من الحياة التي نعانيها».

أطفالنا .... إلى أين؟

كانوا للأمس القريب يلهون جانب منازلهم، يقصدون مدارسهم للتعلم، يفرحون بلعبة جديدة وملابس عيد أنيقة. أضحت ابتساماتهم مبعثرة، وأعينهم حائرة في ظلمة التشتت، فوراء كل ابتسامة وعين حزينة حكاية تحرق القلب وتدفعهم للتسول.

يبحثون عن لقمة العيش في غياهب الأيام السوداء التي أفرزتها الحرب الظالمة، والتي لم

تفرق بين كبير وصغير، وبين حجر وبشر!.

في ظل الحرب كان النزوح الأول من ديارهم وبيوتهم المنكوبة إلى المناطق والمدن الآمنة، وفي ظل ازدياد نسبة البطالة، وانعدام فرص العمل، ومع ارتفاع مستمر للأسعار ، أُفرز أطفالاً لا تتجاوز أعمارهم السنوات العشر، يقيسون الشوارع بحثاً عن غذاء لسد رمق أسرهم، أو كساء لستر أجسادهم، يحملون بين أيديهم «العلكة» أو مناديل ورقية ووصفات طبية.

لستُ طفلاً .. أنا رجل

بهذه العبارة بادرني حين سألته: «ما زلت طفلاً، ومكانك في المدرسة أو البيت». قالها وهو يشعر بالحرقة والمرارة إلى ما وصل إليه حاله وحال أهله وأمثاله من أطفال سورية ورجالها ونسائها، يتنقل مسرعاً من سيارة إلى أخرى قبل أن تعلن إشارة المرور استئناف المسير .

لا يطلب منك إلاّ «أريد أن آكل وأشتري أكلاً لأهلي»، هو بعمر لا يتجاوز الـ ١٢ عاماً، غريب في مدينة ليس له أحد يعيله، هرب مع أهله خوفاً من الحرب والقتل الذي يتعرضون له. قال: «رأيت كثيرين قُتلوا أمامي، فقط لأنهم من غير مذهبهم».

ما الذي يجعل طفلاً في مثل هذا العمر يتحدث بلغة باتت تنتشر على السطح، لغة الطائفية البغيضة، فهو يتوعد بالانتقام في يوم من الأيام، وأن يأخذ بالثأر مهما طال به العمر .

«إذا ذهبت إلى المدرسة من سيوفر الطعام لأهلي، والدي توفي وتركنا دون معيل، أنا أكبر أخوتي ....»، تشعر حين يحدثك أنه ليس طفلاً ، بل إنه رجل ذاق مرارة الحياة وتحمل المسؤولية باكراً .

« نحن نريد أن نعيش، ومكوثنا في منزل مستأجر يُجبرني أن أتدبر أمر المال كي ندفع الأجرة ونشتري ما يسد حاجتنا».

«نعم اشتقت إلى مدرستي، وإلى معلمي، وحقيبتي وكتبي ... لكن هذا الشوق يطفئه ويطغى عليه الحاجة والحرمان التي نعانيهما في مدينة غريبة ليس لنا فيها أحد، إلا الله ....»

«حين تنتهي الحرب التي أكلت أهلنا وشردتهم، حينها يمكننا أن نتعلم ونبني بيتنا الذي تهدم بعد سرقته وحرقه».

بلد القمح والزيتون .. أهلها جياع..!

على أوتوستراد المزة، وتحديداً في نفق كلية الآداب، تجلس امرأة تفترش الأرض وأطفالها حولها نيام، تصرخ بصوت مرتفع: «ساعدوني مشان الله ... ساعدوني الله يساعدكن ... والله ما معي حق أكل لأطفالي اليتامى ...».

وفي الطرف الآخر من النفق، يجلس طفل لا يتجاوز الـ ١٠ سنوات، وبحضنه أخيه الصغير، ويمد يده ويصرخ بصوت متقطع: «الله يخليكم ساعدونا .. بدنا ناكل ... والله ما معنا حق الدوا لأخي ...»، وتجد بعده بأمتار رجل ستيني أمامه وصفات علاج وبعض السلع الرخيصة!.

في طريقك إلى فندق سميرأميس، تجد امرأة تجلس دون أن تتفوه بكلمة، هي فقط تمد يدها وكأن لسان حالها يقول «إن كنت بشراً فها أنا أمد يداي إليك لتساعدني لأنقذ أطفالي من الجوع».

غريب أن ترى الجوع يتجول في طرقات وشوارع وحواري سورية، بعدما كانت بلد الفقير، فكيف لبلد القمح والزيتون أن يجوع أهلها؟

التسول منظم أم عمل فردي ..!!

الشوارع مليئة بالمتسولين ومن مختلف الأعمار، لكن الخطير في الأمر هو أن التسول أصبح استثماراً للعاهات التي أنتجتها الحرب، فمنهم من يتعامل مع أصحاب العاهات الشديدة كاستثمار رابح بمدخول عال يومياً.

يتحدث البعض أن هؤلاء جزء من عصابات تسول تقف على إشارات المرور، أو في زوايا الشوارع يديرها غالباً شخص واحد، هذه وجهة نظر البعض، والذين ينتقدون هذه الظاهرة ويدعون لمحاربتها.

لكن في المقابل، هناك وجهة نظر أخرى، تعيد استفحال هذه الظاهرة وانتشارها إلى الحاجة والعوز والظروف القاسية التي يمر بها المجتمع السوري، فكثير من العائلات محتاجة، ولا ينظر إليها أحد. حتى الحكومة لم تتخذ على مدى سنوات الحرب أي خطوات عملية لإنهاء معاناة هؤلاء، مما اضطرهم إلى ممارسة عمل كانوا لوقت قريب من أشد منتقديه.

دمشق ٢٠١٤

الأطفال ضحايا الحرب

الحرب أشد وأقسى أشكال العدوان على الإنسان، والأطفال هم الأكثر تأثراً، لأنهم الفئات الأكثر عجزاً وهشاشة لمواجهة ما يتعرضون له من خوف وخطر وموت.

فالطفل السوري يتعرض يومياً لظروف لم يكن يتوقعها، وليس لديه الخبرة للتعامل معها، وحتى أنه غير قادر على استيعاب ما يتعرض له، ويفتقر للقدرة اللفظية للتعبير عما يعانيه نتيجة المشاهدة والمواجهة مع الأذى والمخاطر، فقد فرضت الحرب على الطفل السوري حالات غريبة، لم يكن يتوقعها في مجتمعه وحياته اليومية، كالنزوح، والتشرد، والتسول، وكافة أشكال الاستغلال الجسدي والنفسي.

إن هذه الظروف غير المستقرة، وسط غياب الأمن النفسي وانهيار القيم، وغياب الاتجاهات الإيجابية، يتعلم الطفل الاستجابة للعجز والاستسلام له، ويصبح عرضة لخطر الإصابة بالاضطرابات النفسية والسلوكية.

فالتسول من المشكلات الخطيرة التي يعانيها الطفل السوري، داخل سورية وخارجها، لأن الظروف التي مر بها شكلت أحداثاً صادمة شديدة، تؤثر على توافقه وأدائه الوظيفي، وممارسة نشاطه اليومي، فتراكم هذه الصدامات سيملأ نفوس الأطفال بمشاعر العنف والتوتر والحقد والانتقام، ويخلق لديهم استعداداً للإصابة بالاكتئاب والقلق، واضطرابات النوم، وأعراض هستيرية، والتبول اللاإرادي، وتأخير النضج النفسي، وضعف التركيز ، وكثرة الحركة، وسرعة الانفعال، والعدوانية، والفزع، وأعراض جسيمة كالصداع وألم المعدة والإسهال.

الحقل الطبي في مدينة حلب بين التحديات الكبيرة والإمكانيات البسيطة

مكتب حلب - عماد نجم حسو

لقد عانى الثوار من الواقع الطبي السيء منذ بدايات الثورة السورية، حيث الإصابات الناتجة عن استهدافهم من قبل أمن النظام، وهناك الآلاف من الإصابات التي عولجت في مشافٍ ميدانية قام الثوار بتجهيزها بإمكانيات بسيطة نتيجة لعدم استقبال المشافي العامة والخاصة لهم آنذاك. إضافة لخطر تعرضهم للإعتقال في المشفى الذي سيعالجون فيه، ولا ننسى مخاطرة بعض المشافي الخاصة بوجودها فالتزمت بواجبها الأخلاقي تجاه المصابين كما في مشفى القدس الكائن في حي السكري بحلب والذي أصبح الآن من المشافي المركزية في الجزء المحرر.

بعد دخول الجيش الحر وتحريره لجزءٍ كبير من محافظة حلب، أصبحت المشافي في الجزء المحرر مأوى للمصابين نتيجة عمليات القصف التي يقوم بها النظام، حيث قام بعض الناشطين الثوريين العاملين في المجال الطبي على تفعيلها، كما وجد العديد من الثوار الذين ليس لديهم خبرة في المجال الطبي أنفسهم أمام مشكلة عدم وجود كوادر طبية كافية فخضعوا لدورات في التمريض وانضموا للفرق الطبية في المدينة.

أصبحت هذه المشافي التي تعالج المصابين وتقدم الدواء لكل الناس في المناطق المحررة هدفاً دائماً لقوات النظام، ومن ذالك ما تعرض له مشفى دار الشفاء من قصف بالطيران والمدفعية، أدّى إلى استشهاد العشرات من المدنيين والعناصر الطبية، حتّى تم إغلاقه نتيجة الدمار الكبير الذي تعرض له. خلال تلك الفترة وحتّى وقتنا الحالي، ظهرت الكثير من الخلافات بين عناصر الجيش الحر والكوادر الطبية العاملة حتى وصلت خلال الشهرين الأخيرين إلى إطلاق عناصر الجيش الحر النار في الهواء أمام الأطباء والممرضين كنوع من التهديد، الأمر الذي دفع المجلس الطبي إلى الإعلان عن حالة الإضراب التامة -استثنيت الإصابات الساخنة من حالى الإضراب تلك- فكان لابد من التوجه لأصحاب القرار والإلتقاء بهم.

الدكتور عمر مسعود، المتحدث بإسم المجلس الطبي الحر في حلب المحررة، قال: «نتيجة للإهانات والسب والشتم والتهجم، الذي تعرضت له الكوادر الطبية من قبل عناصر الجيش الحر في أكثر من مشفى في حلب المحررة (مشفى عمر بن عبد العزيز, مشفى الزرزور)، كان لابد من اتخاذ خطوات عملية لإيقاف هذا الفعل، الذي يؤدي إلى تعطيل العمل الطبي وهروب الكوادر الطبية في الوقت الذي نحن بأمس الحاجة لجهودهم، فمن الواجب حفظ كرامتهم وشكرهم على جهودهم، لذا كان الإضراب في كافة المشافي التابعة للمجلس الطبي الحر وتضامنت معها مشفيا دار الشفاء والدقاق. حيث كان الهدف من ذلك إحالة العناصر المسيئين للقضاء، وتنبيه جميع الفصائل على ضرورة احترام العاملين في القطاع الطبي، لكننا استمرينا باستقبال الحالات الإسعافية الخطيرة خلال الإضراب، كما طالبنا من كل الفصائل العسكرية بحلب تشكيل وحدات حماية لجميع مشافي حلب المحرر بغية عدم حصول أي خلاف. وقمنا خلال الفترة الماضية بفصل ستة عناصر طبية نتيجة لعدم التزامهم بواجباتهم المهنية وسوء معاملتهم للمرضى والمصابين، فهدفنا تقديم الرعاية الكاملة لكل مصاب ومريض».

تُعتبر الخلافات التي ظهرت بين القطاع الطبي والعسكري في مناطق حلب المحررة من أهم المشاكل التي عانى منها الحقل الطبي، إلاّ أنها ليست المشكلة الوحيدة، كما يقول الدكتور أيمن الشيخ العامل في مشفى زرزور كأخصائي جراحة أوعية: «أعتقد بأن القطاع الطبي يعاني الكثير من الصعوبات التي تعرقل عملنا، أولها النقص في عدد العناصر الطبية الموجودة في حلب المدينة، وهجرة الكثيرين منهم إلى المشافي الموجودة على الحدود السورية التركية حيث نسبة الأمان أكبر وضغط العمل أقل، أما العائد المادي فيتقاضون ضعفي ما نتقاضاه هنا، وثانيها نقص الأجهزة الطبية ومهندسيها، فمثلاً في حلب المحررة لا يوجد جهاز تصوير(طبقي محوري)، ولا جهاز (إيكو قلب) حتى الآن، أما أجهزة التخدير فمهترئة وقديمة. كذلك لدينا نقصٌ كبيرٌ في أدوية التخدير، وهناك صعوبة أحياناً بتأمين الدم ومشتقاته (بلازما ,صفيحات) بسبب نقص المتبرعين بالدم. وعلى الرغم من كل ذلك، فمن واجبنا كثوار أن نعمل على تقديم العناية

مشفى ميداني في حلب

والرعاية للمصابين، فنحن هنا نسد ثغراً من ثغور الدفاع عن الثورة من أجل غد مشرق، إلاّ أنّ بعض عناصر الجيش الحرّ لا يقدرون ذلك بسبب ضيق خلقهم، أو نتيجة تعاطفهم الشديد مع صديقهم المصاب، وربما يكون العنصر الطبي بحالة مزاجية سيئة كذلك نتيجة لضغط العمل وقلة الكوادر».

يُكمل الدكتور أيمن الذي ترك اختصاصه (جراحة أوعية) من جامعة دمشق في السنة الثالثة قائلاً: «هناك العشرات من الأطباء الذين لم يكملوا اختصاصتهم ليلتحقوا بالثورة، وبالمشافي الميدانية، والآن أصبح مستقبلهم في مهب الريح، فالمطلوب التعاقد مع مشافٍ عربية أو أجنبية صديقة، تسمح لهم باكمال اختصاصهم، أو تشكيل لجان من أساتذة الجامعات تُقيّم أوضاعهم، وتحسب السنوات التي قضوها في خدمة الثورة من ضمن سنوات اختصاصهم، ويجب أن يكون هناك فحوصات واختبارات دورية بإشراف جامعات معترف بها دولياً، وهذا سينعكس إيجابياً على عملنا وخبراتنا بمشافينا، ويُمكننا من الحصول على شهادات إختصاص، مثلنا مثل أقراننا الذين أكملوا اختصاصهم ولم يتفرغوا للثورة».

إذاً، فالواقع الطبي مأساوي، والتحديات كبيرة. فمازال النظام يُمارس همجيته و وحشيته على المدنيين في مناطق حلب المحررة، وذلك من خلال عمليات القصف بالبراميل المتفجرة، ومختلف صنوف الأسلحة القاتلة، وصولاً إلى المواد السامة كالكلور مثلاً . وأمام ذلك لا بدّ من تجاوز المشاكل الفردية، وتهيئة الأجهزة والمعدات والمواد الطبية لكي نكون قادرين على تخفيف آلام الجرحى، وإنقاذ حياة الناس، والمضي بثورتنا حتى النصر.

«المعضلة»... جواز السفر في بلاد المهجر

حسن ممس

جواز سفر سوري

بسبب إغلاق سفارات النظام في الكثير من بلدان العالم، وفضلاً عن قيامه بإصدار لوائح بحق مئات الآلاف من المواطنين السورين يمنعم من خلالها بالحصول على وثيقة سفر، وفي ظلّ غياب جهة معارضة معترف عليها دبلوماسياً، يعاني معظم السوريون المهجرين من أرض الوطن من مشكلة إصدار جوازات السفر، ليبقى المواطن هو الخاسر الأكبر.

ومن جانبه يسعى الإئتلاف السوري للحصول على الإعتراف الدبلوماسي الذي يخوله لإصدار جوازات سفر ووثائق رسمية، فهو إلى حدّ الآن لا يتمتع بأي إعتراف دبلوماسية ويبقى الإعتراف به سياسياً فقط.

تركيا المعروفة بالتسهيلات الكبيرة التي قدمتها للمواطنين السوريين لديها، لكن أيضاً هي الأخرى يحتاج المواطن السوري إلى جواز السفر في كثير من الأمور، فمثلاً الطالب عند التسجيل في الجامعة، والمسافر داخل تركيا، وعند اقتناء أو بيع سيارة، أو عند تحويل الأموال. كلّ هذه الأمور تتطلب جواز سفر يسهل الإجراءات، لكنّ الحكومة التركية وفي سلسلة التسهيلات المتواصلة للشعب السوري المتواجد على أرضها قامت بمنح المواطنين هويات خاصة، تساعدهم على تلبية بعض حاجاتهم حيث تعتبر بمثابة البديل عن جواز السفر.

وتعتبر قطر البلد الوحيدة التي سلمت سفارة النظام السوري إلى الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة منذ نحو سنة، وتولت بعد ذلك، مهمة تجديد جوازات السفر على أن تبدأ بإصدار جوازات جديدة للمواطنين السوريين في مرحلة لاحقة، لكن يمكن لهذه الخطوة أن تتسبب بمشكلات قانونية للأشخاص الذين سيستخدمون هذه الجوازات بسبب عدم اعتراف الدول المعنية بالوثائق الرسمية الصادرة عن الائتلاف المعارض.

ويقول عضو الائتلاف الوطني المعارض، وممثله في تركيا خالد خوجا، أن: «كل دولة ستتعامل مع هذه المسألة وفقا لسياستها، إذ قد تسهل بعضها مرور حاملي جوازات السفر الصادرة عن سفارات الائتلاف عبر إصدار تعليمات بهذا الشأن إلى المطارات الخاضعة لسلطتها»، مشيراً في الوقت ذاته إلى أن «دولاً أخرى يمكن أن تعرقل مرورهم لعدم قانونية الجوازات التي يحملونها، خصوصاً تلك التي تعترف بالائتلاف على المستوى السياسي فقط، وليس على المستوى القانوني والدبلوماسي».

وكان سفير الائتلاف المعارض في قطر، نزار الحراكي، قد أكّد في تصريحات إعلامية، أن السفارة السورية في الدوحة التي تديرها المعارضة، سوف تبدأ بتجديد جوازات السفر السورية، وذلك ضمن خطة قدمت لجامعة الدول العربية ومجلس التعاون الخليجي، تمهيداً للاعتراف الكامل بتجديد جوازات سفر السوريين عبر سفارات الائتلاف. ويوضح خوجا أن «قطر تمتلك هامشاً من الحركة يخولها الاعتراف بسفارة الائتلاف، على عكس بقية الدول التي تلتزم بالقانون الدولي الذي يعترف حتى الآن بالنظام السوري»، مضيفاً أن «المشكلة الأساسية تتعلق بالأمم المتحدة التي تتعامل فقط مع مندوب النظام بشار الجعفري مما يلغي أي تمثيل للمعارضة في المحافل الدولية».

أمّا ما خفي داخل تحصينات النظام وأسواره فهو أعظم.

فقد أصدر مجلس الشعب قراراً في جلسته الختامية للدورة الرابعة، مشروع القانون المتضمن تعديل المادة الثانية من المرسوم رقم ٢ للعام ٢٠١٤، ونصّ على تحديد قيمة جواز السفر للدور النظامي (طوابير) بـ ٤٠٠٠ ل.س أما الذي يريده عاجلاً، فعليه أن يقدم طلب استعجال دون الوقوف على الطوابير ليرتفع سعره إلى ١٥٠٠٠ ل.س.

إذاً ... هذا ما حدده المجلس في جلسته، لكن بالمقابل عزيزي المواطن لا تستغرب إن دفعت ١٠٠٠٠ ل.س للحصول على وثيقة دور في الطوابير فقط.

أبو عبد الرحمن خرج إلى تركيا حديثاً، ومعه جواز نظامي صادر عن الهجرة والجوازات في دمشق، سألته عن كلفة هذا الجواز، فقال أن التكلفة محمولة نوعاً ما، لكن التعب الذي تعرضت له لا يحتمل، كلّ يوم أذهب من الصباح لأقف في طابور يمتدّ إلى خارج مبنى الهجرة والجوازات، استمريت على هذه الحال لمدة أسبوع كامل، فضلاً عن أنواع المذلات التي نتعرض لها عند وقوفنا في الطابور من ضباط الشرطة والأمن، لكن في النهاية حظيت به بعد أن كلفني قرابة ٣٠ ألفاً أي (ما يقارب ٢٤٠ دولاراً أميركياً).

تنظيم الدولة الإسلامية ومسيحيو الرقة

مكتب الرقة - محمد علاء

يعيش أهالي محافظة الرقة عموماً ظروفاً صعبة هذه الأيام في ظلّ سيطرة تنظيم الدولة الإسلامية على محافظتهم، حيث كمّ الأفواه، ومصادرات الحريات العامة، وكذلك فرض الكثير من الشروط الإجتماعية والدينية على من يريد العيش هناك، ولقد لجأ عناصر تنظيم الدولة إلى إرهاب الناس من خلال عمليات قطع الرؤوس لكلّ من يعتبروه كافراً أو مذنباً بحسب منهجهم، ولذلك يُعاني الرقاويون المسلمون منهم والمسيحيون، العرب والأكراد أيضاً من هذه الممارسات التي لا تمت لتعاليم الدين الإسلامي بصلة، ففرضوا شروطهم على المواطنين من ناحية اللباس والمظهر والعمل والعبادة، وكان أحد أهم المتضررين من سيطرة التنظيم هم مسيحيو مدينة الرقة الذين فرّ معظمهم خارج المدينة، وبقي عدد قليل من العائلات التي لا يتجاوز عددهم العشرة عائلات بينهم عائلة أرمنية، حيث تم احتلال كنائسهم، وكسر الصلبان فيها، كما حُرقت الكتب الدينية التي فيها، ومُنعوا من الذهاب إليها لممارسة شعائر دينهم.

فمنذ بداية دخول تنظيم «الدولة الإسلامية» إلى مدينة الرقة، قام بحرق الكنيستين الوحيدتين في مدينة الرقة، وتحويلهما إلى مكاتب دعوية خاصة بالتنظيم، وذلك في شهر أيلول- سبتمبر من ٢٠١٣، وكان اسم التنظيم وقتها «الدولة الإسلامية في العراق والشام».

يقول ك- م، وهو أرمني يبلغ من العمر خمسين عاماً: «لقد فرض التنظيم علينا الجزية في شهر شباط - فبراير من العام الحالي، وكل من لا يدفع سيتم طرده أو ان يدخل الدين الإسلامي، وفرضو على نسائنا لباسهم، وقامو بمنعنا من الذهاب إلى كنائسنا بعد أن احتلوها، وحرقوا محتوياتها، ومُنعنا من ممارسة شعائر ديننا في مدينتنا، حتى أننا لا نستطيع السير في الشارع أثناء الصلاة بسبب أن الناس أُجبرت على الذهاب إلى المساجد وقت الصلاة».

ويضيف ك- م قائلاً: «نتعرض دوماً لمضايقات من دَعَويّ التنظيم، حيث يأتون إلى بيوتنا وأعمالنا ويطلبون منا أن ندخل دين الإسلام، ويتهموننا بأننا كفار، ويُحذروننا بأننا حين نموت سندخل نار جهنم».

كنيسة البشارة في الرقة

وعن سبب عدم هجرة ك- م إلى خارج مدينة الرقة، حيث هاجر أغلب المسيحيون والأرمن منها، قال: «هنا بلدي، وأرضي، وأرض أجدادي، هنا وُلدت، وهنا سأموت. سيذهبون ونبقى، ونعود للعيش في هذا البلد كما كنا المسيحي مع المسلم، دون أن يضايقنا أحد لأننا نعرف أن الإسلام هو الذي جعلنا نبقى هنا منذ زمن بعيد، حيث كان جيراننا مسلمون وأصدقائنا مسلمون، ولم نتضايق يوماً منهم أو من أحد آخر، سوف نبقى هنا وسيرحلون، لنا أرزاق وأعمال هنا، لا يمكننا أن نترك أرضنا لهم، فبمجرد خروجنا سيستولون على كل ما نملك مثلما حدث مع إخواننا الذي هاجروا».

كما تحدثت ت- أ وهي مسيحية شابة، عن ممارسة التنظيم بحق النساء قائلة: «لقد فرض علينا تنظيم «الدولة الإسلامية» اللباس الشرعي بحيث لم نعد نستطع الخروج باللباس الذي كنا نخرج به قبل، لم نعد نمارس طريقتنا في الحياة مثل ذي قبل، فكل شيئ مفروض علينا، حيث لا نستطيع الخروج بمفردنا والذهاب إلى أقاربنا وأصدقائنا مثل ذي قبل. كنت أدرس في كلية الآداب في الرقة، وتم إيقاف التعليم بشكل كامل من قبلهم ليملوا علينا منهاجاً على أهوائهم، وأصبح الذهاب لمتابعة الدراسة خارج المدينة أمراً شديد الصعوبة، حيث يفرض التنظيم علينا الخروج مع محرّم مثلما يقولون، لا نستطيع أن نستقل سيارة أجرة عمومي لأنهم يرفضون ان تستقل النساء سيارات أجرة عمومي مع السائقين الغرباء، اختلفت الحياة علينا كثيراً، نحن نعيش أسوأ أيام حياتنا هنا في الرقة».

وأشارت ت- أ إلى أن الجيش الحر كان سابقاً في المدينة، ولم يتعرض لهم أو يضايقهم، أو يُملي عليهم شروطاً، أو يفرق بينهم وبين المسلمين، وقام بحمايتهم وحماية ممتلكاتهم. وأضافت أنها تُفكر كثيراً في الهجرة خارج المدينة، لكن يعود ويحذوها الأمل بعودة الجيش الحر لطرد التنظيم من المدينة، وأن يستعيدوا كنائسهم وحريتهم الدينية كما كانت.

إذاً، الموتُ والدّمار، والخراب هو ما تعيشه الرقة من خلال التطرف والحقد على كل من لا ينتمي لتنظيم الدولة الإسلامية، «إن لم تكن معنا، فأنت ضدنا»، وأنت كافرٌ لا تستحق العيش كذلك الأمر مع الأقليات الدينية، حيث تم تدمير أماكنهم المقدسة وتحويلها لمقرات عسكرية لهم، ومصادرة حرياتهم بممارسة طقوسهم الدينية، وكأنهم لم يعرفوا بالعهدة العمرية، ولم يعرفوا بأن سيدنا عمر قد أمّن مسيحيي بيت المقدس على أنفسهم وأملاكهم وأماكنهم المقدسة. كذلك الأمر مع الرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، عندما أمّن على يهود المدينة أملاكهم وأنفسهم وأماكنهم المقدسة حتى نقضوا العهد فقاتلهم.

إذاً فأفعال «تنظيم الدولة الإسلامية» ليست إلا تشويهاً للدين الإسلامي، وإضطهاداً لمن ليس معها في الفكر، ومسيحيو الرقة هم أحد ضحايا هذا التنظيم.

في خدمة الشعب

مكتب إدلب - سارية أبو خالد

في زمن الظلم والقهر وسيطرة الأجهزة الأمنية على سورية في عهد الأسد الأب والابن قبل الثورة، لم يكن هناك دورٌ فعليّ للشرطة، إذ كان الدور الفعلي والسلطوي للأجهزة الأمنية، وكان جهاز الشرطة عبارة عن منظم سير، وعين مثقوبة للوجه الأمني بقيادة نظامٍ كانت شعاراته الخلابة والبراقة كـ (الشرطة في خدمة الشعب، والعين الساهرة)، عبارة عن واجهة تُخفي ورائها المعنى الحقيقيّ لهذه الشعارات، كون أن الشرطة عبارة عن جهاز تابع لوزارة الداخلية، وليست جهازاً استخباراتياً أو أمنياً بالمعنى الدقيق للكلمة.

وبسخريةٍ، كان عوام الناس يحرفون عبارة «الشرطة في خدمة الشعب» إلى «الشعب في خدمة الشرطة»، وذلك بسبب انتشار الفساد والرشوات و المحسوبيات في هذا الجهاز البسيط، الذي جعله النظام هكذا بسبب انخفاض دخل الشرطي العادي، وصف الضابط الشرطي إلى مادون الـ ١٥٠دولار شهرياً، ليجبر ضعفاء النفوس إلسلوك طريق الفساد والرشوة، وكان جهاز التفتيش والمحاسبة يغض الطرف عنه، وهو الذي كان يعاني من ذات الفساد أيضاً.

وبعد قيام ثورة الكرامة في عام ٢٠١١، أقدم العديد من رجال الشرطة على الانشقاق عن هذا النظام، وبعد تحرير مناطقَ جغرافية واسعة من سورية من سيطرة النظام على يد الجيش الحر، لجأ هولاء المنشقون إلى تشكيل جهاز شرطة في المناطق المحررة، بدأ الأمر بمخفر ثوري، ثم انتشرت تنتشر هذه المخافر في أغلب المدن المحررة، مثل معرة النعمان، وسراقب، وكفرنبل، وبنش.

ذهبت إلى مخفر كفرنبل للوقوف أكثر على وضع الشرطة الحرة في هذه المدينة، فالتقيت بالمقدم محمد أسامة حمود مدير ناحية كفرنبل وطرحت عليه عدة أسئلة.

-من هم الشرطة الحرة؟

المقدم: بدايةً أريد أن أعطيك لمحة عن تأسيس المخفر الثوري بكفرنبل، تأسس مخفر شرطة كفرنبل الحرة منذُ سنتين. في البداية كان عدد المنتسبين إلى المخفر من الشرطة المنشقين هو أكبر من العدد الحالي، ولكن تنظيمه كان أقل، فمن حوالي السنة تقريباً، أعيد تنظيمه بشكل كامل، وتعداد عناصر المخفر حالياً يبلغ ستين عنصراً، يوجد من بين العناصر عشرين عنصراً من الأمن الجنائي، واثنا عشر عنصرَ مرور، والباقي يقومون بتلقي الشكاوي، وكتابة الضبوط، وغيرها من الأمور الإدارية.

عناصر الأمن الجنائي يختصون بمعالجة الجرائم الجنائية، مثل الصدامات المسلحة بين الأشخاص، أو بين عناصر عسكريين من الفصائل أو الكتائب الموجودة بالمنطقة. وأما المشاكل المرورية والمشاجرات، فهي مهمة العناصر الإداريين الذين يقومون بكتابة ضبوط أو فتح محاضر للدعاوي.

باختصار، ورداً على سؤالك، فالشرطة الحرة هم عناصر شرطة كانوا يعملون في جهاز الشرطة عند النظام ثم انشقوا عنه بعد قيام الثورة.

-كيف يقوم عناصر الشرطة بممارسة عملهم الميداني؟

المقدم: طبعاً تُوكل لعناصر الشرطة مهام يقومون بتنفيذها، منها مراقبة الأمن وحفظه بالمدينة، كما ويقومون بحفظ أمن المدارس التابعة للائتلاف أثناء الامتحانات، إضافة إلى مهام عدة ذكرتها سابقاً، وهي تنظيم السير ، وفضّ النزاعات، و القيام على حماية المصلين يوم الجمعة بشكل دائم، خوفاً من عبث سيارة مفخخة، أو أي عمل إرهابي يُقدم عليه أيّ أحد، فهدفنا هو الحفاظ على أمن الناس، ليس فقط يوم الجمعة، بل في كل وقت.

-هل تواجهون مشاكل مع باقي الفصائل الموجودة بالمنطقة؟

المقدم: النقطة المهم في عملنا هو التعاون بين الشرطة الحرة وباقي الوحدات العسكرية الموجودة بالمنطقة، ونحن على علاقة جيدة جداً مع كل الوحدات العسكرية، وهم مستعدون لتقديم كل دعم لنا في حال واجهنا مشكلة تفوق قدرتنا كشرطة حرة.

-ماهي المشاكل التي تواجهكم كشرطة حرة؟

المقدم: المشكلة الأساسية والأهم هو عدم وجود أي مورد مادي على الإطلاق لعناصر الشرطة، فنحن من تاريخ التأسيس لم نأخذ أي راتب، لا من الائتلاف، ولا من أي جهة، سوى قيام المجلس المحلي على فترة شهرين بتقديم راتب للعناصر يُقدر بعشرة آلاف ليرة سورية لكل عنصر، فقط هذا هو كل ما حصل عليه جهاز الشرطة، وهذا كان له الأثر السلبي على عمل عناصر الشرطة الحرة، وأوجد بعض التململ عند بعض العناصر، إذ فضّل بعضهم العمل بالمخبز، أو بيع المحروقات، أو قطع الحجارة مثلاً لكسب لقمة العيش، فكل عناصر الشرطة متزوجون، ولديهم عائلات وأعباء تفرض عليهم العمل للحصول على المال، وتمنعهم من العمل التطوعي بالمخفر، والذي يخيفني هو عدم قدرة الشرطة الحرة الاستمرار بالعمل بسبب عدم توفر الدعم المادي المستمر، فنحن تلقينا وعود كثيرة من جهات كثيرة ولكن لم نشاهد أي شي على أرض الواقع.

-بالنسبة للفساد الذي كان موجوداً مسبقاً لدى جهاز شرطة النظام، هل تكرّر هذا في جهاز

شرطة إدلب الحرة ٢٠١٤

الشرطة الحرة؟

المقدم: نحن نعمل بمنطقة بين أفراد مجتمعنا، وأهلنا، وأقاربنا أولاً، ونحن كشرطة حرة نُمثل الثورة بأخلاقنا وتصرفاتنا، فمن أين ستطلب الرشوة مثلاً، من أقربائك؟ أو من أبناء عمومتك؟ هذا شي مستحيل، فالثورة خرجت لمناصرة الحق، ومطالبة بإنهاء الفساد الذي عشناه خمسين عاماً.

-هل الناس والعموم تتقبلكم كشرطة حرة؟

المقدم: طبعاً، بالنسبة لهذا الموضوع، وكما ذكرت سابقاً، نحن في وسط يعيش فيه أقاربنا، وأبناء جلدتنا. فأحياناً تتعرض لموقف، كأن يأتي ابن أخيك ويدّعي على ابن أختك، بحكم عملنا يجب أن نناصر الحق مهما كانت العواقب، وتقبل الناس لنا يزيد عندما ترانا نقوم بإقامة الحق، ونكون عند حسن ظنهم كلما كنا في خدمتهم.

ننتقل بعدها إلى أبو أحمد، وهو عنصرٌ من عناصر المخفر الثوري، وهو رجل في الأربعينيات من العمر، يعمل كمتطوع في الشرطة، وقد كان في عهد النظام رئيساً لأحد المخافر في ناحية الحمرة بحماة، وبعد قيام الثورة سجنه النظام بتهم عدة.

نقف مع أبو أحمد لنأخذ منه أجوبة لأسئلتنا عن عمله في جهاز الشرطة الحرة.

-كيف تمارس عملك في الشرطة الحرة؟

أبو أحمد: أُمارس عملي اليومي بتنظيم السير من الساعة الثامنة صباحاً وحتى الساعة الرابعة عصراً، أقوم بتنظيم السير، من منع وقوف سيارات بمناطق محددة، ومخالفة المخالفين، وإبعاد البسطات عن الطرقات، وفتحت الطرقات. هذا هو عملي اليومي، وأحياناً نقوم بتشكيل دوريات تقوم بالتجول بالمدينة لحفظ الأمن.

-مالذي دفعك، وأنت رجل مسن، للعمل بالشرطة الحرة؟

أبو أحمد: إذا نحن لم نقم بحماية هذه المدينة من سيحميها؟ المدينةُ مدينتنا، وواجب علينا أن نقوم بحمايتها، وضبط الأمن والأمان فيها، رغم غياب أي مردود مادي، فأنا أعمل كمتطوع في سبيل الحفاظ على هذا الكيان.

وبعد القيام بجولة ميدانية، التقيت بأحد الشبان ويدعى عماد، وكان يقوم بتقديم شكواه لمخفر الشرطة الحرة.

-لماذا اخترت الشرطة الحرة لتقديم شكواك إليها؟

عماد: لأنها البديل الوحيد لنا في المناطق المحررة، فليس لدينا سوى الشرطة الحرة والجيش الحر لنقدم لهم شكوانا، علهم يساعدونا. فإن لم نأتِ إليهم فإلى من سنذهب؟ أنذهبُ لمحاكم النظام وأجهزته، وهي التي غابت تماماً عن منطقتنا، وتقوم الآن بقتلنا وتشريدنا؟

وفي النهاية تبقى الشرطة الحرة في خدمة الشعب دائماً، فهي العين الساهرة الحرة التي فضلت أن تنام في حضن الكرامة والثورة، لا أن تظل عمياء في حضن نظامٍ يمارس القتل والتهجير بحق أبناء شعبه.

شرطة إدلب الحرة ٢٠١٤

احتمالات الجوع ومشاريع الاستدامة

بشرى جود

في الوقت الذي تدق فيه الأمم المتحدة نواقيس الخطر خوفاً من مجاعةٍ محتملة في سورية نتيجة انخفاض الهطولات المطرية، وانخفاض إنتاجية القمح، وفي الوقت الذي يكثّف النظام حربه الغذائية على السوريين عن طريق شراء القمح من الفلاحين عبر السماسرة، تخوض وزارة الاقتصاد والمالية في الحكومة السورية المؤقتة نضالاً من شكلٍ آخر لتُسارع خطاها بغية قطع الطريق على النظام، حيث قامت وتقوم بإطلاق العديد من المشاريع والرؤى الاقتصادية الفعالة، تبعاً لأهمية دور القطاع الزراعي في الأراضي السورية المحررة، ولإعادة الحياة بشكلٍ تدريجي لهذا القطاع الهام، والذي كان يشكّل ٣٠٪ من الناتج المحلي العام، ويوفّر فرص عملٍ بحدود ٥٠٪ تقريبا من اليد العاملة.

ومن جهةٍ أخرى كي يتم حماية سورية من مجاعةٍ متوقعة، وكون هذه الحماية لا تكون إلا من خلال تأمين مادة الخبز، وتحقيق الاكتفاء الذاتي من مادة الطحين والأعلاف للماشية أيضاً.

ولتفعيل العمل الذي سوف يساهم بترسيخ دور الحكومة السورية المؤقتة في بناء سلطةٍ مدنية داخل سورية، بدأت وزارة المالية والاقتصاد في الحكومة السورية المؤقتة بأولى أعمالها بهذا الصدد، وذلك بتأسيس المؤسسة العامة للحبوب من خلال الاستفادة من الخبرات السابقة التي كان يستفيد منها النظام السوري، وكذلك بدأت العمل بشراء محصول القمح في المناطق المحررة ساعيةً لتحقيق عدة أهداف رئيسية منها؛ تسويق إنتاج الفلاحين في المناطق المحررة لدعمهم في الاستمرار بزراعة هذا المحصول الاستراتيجي، وللعمل على تأمين القمح من أجل توفير مادة الطحين للمخابز بشكلٍ دائمٍ ومستمر، ولاستمرارية عمل الأفران وضمان وجود رغيف الخبز، مما قد يخفف المعاناة التي يعيشها المواطن السوري في المناطق المحررة، ولمنع احتكار القمح من قبل تجار الحروب والأزمات، ولقطع الطريق أمام محاولات النظام لشراء محاصيل الفلاحين في تلك المناطق من خلال سماسرته.

كما أن المشروع يساهم في استقرار الأمن الغذائي، وإنقاذ السوريين من خطر مجاعةٍ متوقعة كما

مستودع المؤسسة العامة للحبوب

ذكر في «تقرير برنامج الغذاء العالمي» بالإضافة لتامين زيادةٍ في المحصول للسنة القادمة، من خلال تأمين مادة البذار، وذلك بالتعاون مع وزارة الزراعة والبنى التحتية في الحكومة السورية المؤقتة حيث أن ٢٠٪ من القمح المشترى سيُخصص لإكثار البذار.

إضافةً لذلك؛ تعمل حالياً وزارة المالية والاقتصاد في الحكومة السورية المؤقتة على دراسة وتنفيذ /٦/ مطاحن بطاقة إنتاجية تقارب ال /٥٠/ طن يومياً لكل مطحنة، كمرحلةٍ أولى من مشروع المطاحن البالغ عددها /١٥/ مطحنة في المناطق المحررة، لتغطية الحاجة المستمرة لمادة الطحين، ولتوفير الدعم لأكبر شريحةٍ ممكنة من المواطنين.

وكانت أولى الخطوات التي قامت بها وزارة المالية والاقتصاد بهذا الشأن، تشكيل فريقٍ يضم خبراء في مجال شراء وتخزين الحبوب للقيام بالجولات الميدانية في الداخل السوري، لجمع البيانات والإحصائيات حول المساحات المزروعة بالقمح، وتوقعاتهم عن كمية الإنتاج وعدد السكان في المناطق التي سيتم إنشاء مراكز الشراء فيها، وتحديد حاجة كل منطقةٍ من مادة القمح.

وتأتي هذه الخطوة لتأمين الاكتفاء الذاتي، ودعم الفلاحين في المناطق المحررة، وتخزين القمح على أساس جغرافية المناطق، مما يخفف من أجور النقل وسهولة الوصول للكميات اللازمة لكل منطقة.

أرقام عالمية في السياق ذاته

يؤكد برنامج الأغذية العالمي التابع للأمم المتحدة أنّ إنتاج سورية من القمح يُقدّر بما يتراوح بين ١,٧ مليون ومليوني طنّ متري، وهو ما يمثّل مستوىً منخفضاً قياسياً في ظلّ «جفافٍ وشيك» شمال غربي البلاد.

وقالت المتحدثة باسم البرنامج إليزابيث بيرس للصحفيين إنّ «برنامج الأغذية العالمي قلقٌ من تأثير جفافٍ وشيكٍ يضرب شمال غربي البلاد، خصوصاً حلب وإدلب وحماة، إذ يقلّ معدّل الأمطار عن نصف متوسطه على المدى الطويل منذ أيلول، وقد تكون هناك آثارٌ كبيرةٌ على موسم حصاد الحبوب المقبل».

صوت من وزارة الاقتصاد

وكان قد أكد ابراهيم ميرو وزير الاقتصاد في الحكومة السورية المؤقتة في وقتٍ سابق بخصوص مشروع القمح أن: «هذه الخطوة تهدف لتحقيق اكتفاءٍ ذاتي، ودعم المزارعين في المناطق المحررة، فضلاً عن قطع الطريق أمام محاولات النظام لشراء محاصيل الفلاحين في هذه المناطق».

ولفت إلى أن «موضوع الأمن الغذائي يُعتبر من أولويات الحكومة المؤقتة، ونتوقع في السنة القادمة حدوث أزمةٍ غذائيةٍ في حال لم تتدخل الحكومة، حيث تشير الدراسات الميدانية إلى أن المحصول المرتقب من القمح يشكل ما نسبته ٣٠٪ من النسبة الطبيعية للإنتاج».

وأكد وزير الاقتصاد في الحكومة المؤقتة أن شراء القمح وتخزينه سيكون على أساسٍ مناطقي بما يخفف من أجور النقل، «وبهذه الطريقة نضخ المال في المناطق المحررة، ونمنع النظام من سحب هذه المحاصيل لمناطقه، ونساعد في تشغيل اليد العاملة داخل المناطق المحررة».

وأضاف ميرو أن «الهدف الآخر من شراء محصول القمح هو تفادي مشكلةٍ مستقبلية بعدم وجود البذار، وبالتعاون مع وزارة الزراعة في الحكومة المؤقتة سيتم تخزين جزء من المحصول بهدف إكثار البذار للعام القادم». وقال ميرو إن الحكومة المؤقتة ستشتري القمح من الفلاحين حسب سعر السوق: «هناك لجنةٌ مهمتها تحديد سعر القمح في الأسواق، فالمعيار الأساسي لشراء المحاصيل من الفلاحين هو سعر السوق فقط».

يُذكر أن الفلاحين في المناطق الخاضعة لسيطرة الثوار اضطروا العام الفائت إلى بيع محاصيلهم للنظام عبر وكلاء، وبأسعار أقل من سعر السوق، وذلك تجنباً لتلف المحاصيل مع صعوبة تخزينها، فيما فضل بعضهم تصدير محاصيلهم إلى تركيا، ولاسيما في المناطق القريبة من الحدود التركية السورية.

أحد مشاريع الحكومة

بدأت وزارة المالية والاقتصاد مشروعها في ٢٠١٤/٠٣/٢٦ بناءً على اجتماع مجلس الوزراء، وهو إنشاء مطحنةٍ في مدينة أعزاز بطاقة إنتاجية /٢٥/ طن يومياً.

تقع مدينة أعزاز في الزاوية الشمالية الغربية من سورية في القسم الشمالي من جبل سمعان والتي تُعد جزءاً من هضبة حلب في منطقة سهل أعزاز. تبلغ مساحة مدينة أعزاز /٣٥٠٠/ هكتار، ويتبع للمدينة خمس نواحٍ، ويبلغ عدد القرى التابعة لها /١٢٥/ قرية.

حيث يبلغ عدد سكان المدينة /٧٥/ ألف نسمة وتُعدُّ أول مدينةٍ محررة بريف حلب الشمالي، حيث خاضت المدينة معارك كثيرة ضد نظام الطاغية.

مستودع المؤسسة العامة للحبوب

هاني فحص..رصيدنا أنّا عاصرناه

أحمد عيساوي

يعزّ عليّ أن أكتب عن السيد هاني فحص بعد رحيله وأنا الذي كنت أنتظر، أدباً أو شعراً أو حتّى مقالةً سياسيةً، لأُقدم عليها بنهمٍ كأنّي ألتقيه في ثنايا النص، وكأنّه يخاطبني ويطلب إعادة القراءة ليلقَ نقداً، ويفتح جدلاً دون ملل.

يعزّ علينا جميعاً -ونحن الذين أحببناه استثناء من بين العمائم- أن نطلب مزيداً من العمر كي نلتقيه لنقول له أننا نختلف هنا ونتفق هناك، والخلاف معه فيه متعة تفوق الوفاق، لأن الفضاء الذي يسكنه مفتوح على الرفض والنقد. وهكذا كانت حياة هاني فحص، سيرةً للفتى العاملي المشاكس الذي جمع كل ألوان الطيف في شخصيته المحببة.

هاني فحص، العاملي ولادةً وتعلقاً، النجفي علماً ومعرفةً، اليساري فكراً وممارسةً، الفتحاوي واللاهوتي، اللبناني والفلسطيني..الجزء في الكلّ والكلّ في الجزء، و«النسبي الذي لا يمكن أن يكون طرفاً» كما يعرّف عن نفسه، المثقّف النهم، والقاصّ المبدع، والناقد الصائب.. هاني فحص الذي كتب سيرة استثنائية لرجالات الدين بالمعنى الفكري والعملاني، أخذ الدين كرسالة لخدمة البشر، وهي الغاية لا الوسيلة، وهي البحث والمعرفة لا الفتاوى والتشريعات، وهي مدى مفتوح لكلّ الناس على اختلاف انتماءاتهم الطائفية والمذهبية.

كان هاني فحص رجل حوارٍ بامتياز، وكان مدنياً بالمعنى الذي أراده في سعيه للسلم ورفض العنف. ويُشهد له مبادرته ومشاركته في «لجان الإطفاء» في الحرب اللبنانية لتخفيف الإحتقان في مناطق التوتر والتقاتل الأهلي. ويُشهد له مساهمته الكبيرة في وضع البنود الرئيسية لوقف المعارك في الجنوب بين أمل وحزب الله سنة ٨٩. القادم من تجربة فتحاوية، قناة الوصل بين الرئيس الراحل ياسر عرفات والإمام الخميني، وصاحب العلاقات الواسعة مع مختلف القيادات الفلسطينية، كتب وقال في تجربة «فتح» و«منظمة التحرير الفلسطينية» نقداً لاذعاً، وهو ابن البيت وأحد أبرزالشخصيات الدينية الشيعية

الراحل هاني فحص

التي دعمت القضية الفلسطينية.

من مظاهرة مزارعي التبغ في قلب النبطية، إلى خنادق الفدائيين في قرى العرقوب، إلى رحلاته المكوكية بين طهران والنجف وأفغانستان. أين ما حلّ هاني فحص حلّ الحوار والبحث والنقاش، أين ما وُجد كان الحضور كثيفاً بعلمه وفكره وقدرته على تمريرالأسئلة والأجوبة برشاقة قلّ نظيرها.

انحاز السيد بشكل دائم إلى الناس ومشاكلهم وهمومهم، وكان يرى في صورة المعذّبين صورته، وفي مأساة فلسطين قضيته، وفي حرية الشعوب العربية حريته. في أسوأ الظروف بقي مواظباً على التواصل مع معارضين سوريين مدنيين ديمقراطيين، وشارك في مؤتمر للمعارضة السورية في القاهرة سنة ٢٠١٢، وكانت الوثيقة التي توجّه فيها مع العلامة السيد محمد حسن الأمين إلى الشعبين السوري واللبناني نقطة مضيئة في ظلّ انغماس قسم كبير من الطائفة الشيعية في الحرب السورية (مشاركةً، ودعماً عسكرياً وسياسياً وشعبياً).

فلسطين، شغله الشاغل، وقضيته التي أحب وناضل من أجلها، لم يفوّت الفرصة للمشاركة في أي نشاط داعم لحقوق الشعب الفلسطيني في الداخل والشتات. فلسطين التي حضرت في حياته كما في رحيله فكانت وصيته أن يُلفّ نعشه بالعلم الفلسطيني إلى جانب العلم اللبناني، وهكذا بكته فلسطين كما بكاه لبنان وكل العالم الحرّ.

لم يُخاصم السيد أحداً في حياته. يقول بعض الخبثاء أنّه اتخذ موقفاً عدائياً لبيئته، وكان على خصومة مع أمل وحزب الله تحديداً. أسمح لنفسي أن أروي حادثة حصلت منذ حوالي الشهر تقريباً « ذهبنا لرؤية السيد ودار النقاش ودخلنا إلى الشق السياسي في لبنان وعلاقته بالأفرقاء كافة، وسألته لماذا يغيب أي تواصل مع حزب الله؟ أجابني: لم أخاصمهم يوماً، أنا أحبهم لكنهم لا يريدون أي حوار. أرسلت إلى السيد حسن والشيخ نعيم.. ولم ألقَ جواباً، وكذلك حصل مع الرئيس بري الذي التقيته منذ فترة بمناسبة خاصة». قاطعني بعدها وسألني إذا ما كنت متابعاً لمدى وأثر رسالته التي وجهها إلى حزب الله في البيئة الشيعية، وبدا مسروراً جداً عندما همست له أنّ كثيرين من البيئة المعادية قرأوا الرسالة وقالوا في سرّهم «مش عم تروح إلا عالمعترين».

كانت علاقته الجيدة بآل الحريري كافية لكي يكتب عنه صبية الجريدة الممانعة أنه من «شيعة الوهابية»، وكان موقفه المعادي للتدخل العسكري في سورية من أي طرف جهاديّ –سنة وشيعة- كافياً ليُقال عنه أنه مرتد عن طائفته. ذهب كثيرون إلى تخوينه وشتمه في يوميات

كلاسكية بعد كل موقف يعبّر عنه..بعد رحيله رثوه بوقاحة العارفين بحقه ونقائه.

يُنهي صلاته ويستقبل الزائرين، ويُطرب لسماع محمد عبد الوهاب، ويُسمعنا شعراً للمتنبي ثم يحدّثنا عن علي شريعتي وضرورة تجاوزه -مع تأكيده على أهميته- وقراءة نقد داريوش شايغان في شريعتي.

إلى جمال الدين الأفغاني، وشعر مصطفى جمال الدين، وأدب أدونيس، وعلاقته بمحمود درويش، وبسام حجار، وحبه لشعر محمد علي شمس الدين.. ثم حديثه الشيق عن التجديد في الإسلام، ودفاعه عن السيد علي السيستاني، ورفضنا للدفاع وإصراره على فكرة أنّ المجددين الشيعة غير موجودين اليوم، «السيد فضل الله كان صديقي وكان منفتحاً جداً، لكنه لم يجدّد في قراءة النص وتفسيره، من يذهب نحو المرجعية لا يمكنه أن يكون مجدداً». عن علاقته القديمة بالسيد خامنئي قال: «هو مثقف ومقتدر وقارئ نهم ولا أعرف ما الذي جعله يذهب ليكون مرشداً».

حدثنا عن إعجابه بنموذج الدولة في إيران وعن الفضاء الواسع لرفض السياسة الإيرانية في قم: «ما هو خارج الحوزة فضاؤه رحب، فترى المعارضين من أدباء وسينمائيين ومثقفين. حتّى في الحوزة يعلو صوت بعض العمائم التي تنتقد ولا تكمل الطريق».

برحيل سماحته -والسماحة عملة نادرة اليوم- خسرنا صرحاً كبيراً، وقلماً جميلاً، وعمامة ودودة، عمامة ضد «طوق العمامة» كما يورد وضاح شرارة في كتابه عن ايران..حتى نعشه أبى إلا أن يرد التحية في جبشيت. اختال بالأرز والزيتون ومشى إلى لحده فتذكرت ما كتب في «أوراق من دفتر الولد العاملي» : «حفروا له قبرا، يعترف بعد فوات الاوان، هو قال لهم: احفروا، فحفروا، وعندما أنس اكتمال موته،تدلّى، تمدّد في اللّحد. كانت أمه غارقة في شيء بين البكاء والضحك، هو يحبّ أمه، ولا يلبث أن يتعارك معها، فتزعل وتبكي وتشكو تعبها اليومي. تمدّد في اللحد، فاضت قامته عن اللّحد قليلاً، رفع ما يشبه القبعة عن رأسه احتجاجاً، وانتصب. وسّعوا اللحد قليلاً، فاض اللّحد عن قامته قليلاً، فعاودته نوبة الاحتجاج..حتّى الساعة، لم يزل يحتج على طول قامته تارة، وعلى طول اللحد تارة أُخرى، وهكذا دواليك».

أتخيّله يحتجّ ولوقليلاً في لحده، فنراه يُؤنسنا بصفاء ابتسامته مجدداً.

«طفل الحرب»..وتشكيله لمفهوم الإنتماء

جنان علي

-إنت من وين ؟

(بعد تردد ..)

-من سورية

-وين أحلا هون ولا سورية ؟؟

-هون

-ليش ؟؟

(نظرة تردد ولا جواب)

كانت هذه حوارية صغيرة فاجأت بها طفلاً لاجئاً يبيع الورود في مدينة عينتاب التركية، مثله مثل الكثير من أطفال سورية والمشتتين في الكثير من بلدان الجوار، وكانت إجاباته وتردده أمراً طبيعياً في ظروف استثنائية مرت عليه خلال سني الحرب في بلده الأم الذي يحاول أن يتناساه، أو على الأقل يحاول بسني عمره الصغيرة أن يبحث عن هوية جديدة تحقق له الحد الأدنى من عوامل الأمان، فلكل مجتمع بنية تحتية تحث أفراده على العمل بشكل موحد في إطار تكوين اجتماعي، وذلك من خلال بعض المفاهيم المتناقلة والقيم والعادات (كالأعياد)، التي تعمل بنسق متكامل يجمع الأفراد من حيث الولاء، العمل الموحد، التعاون، والانتماء، ومن ثم الهوية.

ويظهر لنا التطبيع الاجتماعي (في الظروف الحياتية الطبيعية) كأداة لنقل قيم المجتمع إلى الطفل من خلال الأسرة، المدرسة، وسائل الإعلام، الأصدقاء، وذلك بتأصيل العمليات الخاصة بالتربية التي يتلقاها الطفل ويكبر عليها ويصبح عن طريقها فعالاً في دمج الأدوار والاتجاهات والقيم والمهارات التي تشكل شخصيته وتتسق مع حركة المجتمع المتغيرة أو الثابتة.

ومن أهم عمليات التطبيع الاجتماعي ما تقوم به الأسرة بهدف تأصيل الانتماء، والتي تعني أن الفرد من طفولته المبكرة يحيا في ظلّ مجموعة من القيم والأفكار والمبادئ التي تترسّب في وجدانه، حتى تتحول لديه إلى وجود غير محسوس، ومن خلال ذلك يصبح الطفل منتمياً إلى المكان، وإلى الأسرة، وإلى الجماعة، وإلى المجتمع والوطن..

وقد لاتعي الأسر الأهمية التي تتركها طرق التنشئة وأساليب التربية في تكوين شخصية الطفل، من حيث تعزيز أدوار الذكور والاناث، الانخراط في مجموعة اللعب، تشكيل أدوار قيادية، حب التفوق والظهور، التعاون..إلخ.

فيتطلب ذلك زيادة في وعي الأسر حول اتجاهات المجتمع وتاريخه وحضارته، أي بكل مكونات ثقافته التي يفرزها، مشكلاً طابعه الخاص على أبنائه مميزاً بهم عبر الانتماء له.

وإن نظرنا للانتماء بإطار الحاجة الاجتماعية لدى كل فرد، يظهر لدينا ذلك بشكل هرمي مصنف وفقاً للحاجات البشرية، والذي وضعه العالم «ماسلو» Maslow›s hierarchy of needs للدلالة على ارتقاء الانسان بالسلم الهرمي لاحتياجاته، ابتداءً من الحاجات الغريزية الأساسية (الفيسيولوجية)، وانتهاءً بوصوله للتوازن النفسي عبر تحقيق الذات، كدلالة للوصول لقمة هرم الاحتياجات البشرية.

وهو كما في الشكل (١):

ويشير «ماسلو» إلى أن الإنسان في حاجة دائمة يقف وراءها دائماً الدافع، هذه الحاجة تؤثر بالطبع على سلوكياته وإذا لم يتم إشباعها تسبب لديه عدم توازن نفسي وبالتالي تولد الاحباط، فينبغي للفرد أن يتدرج في اشباع حاجاته من أسفل الهرم لقمته، فبمجرد إشباع الفرد لاحتياجاته الأولية تظهر لديه حاجة آخرى، وهكذا حتى يصل لقمة الهرم، حيث يبقى في حالة سعي دائم لتلبية هذه الحاجات.

فيرى «ماسلو» أن المجتمعات التي يحيا فيها الانسان، تقدم له الثواب والمكافأة على دوافعه والتي ترتكز بشكل أساسي على التقدير والحب وغيرها من الحاجات الاجتماعية.

وإن كنا سنناقش مفهوم الانتماء كحيز اجتماعي

يتبع له البشر بسياق التنظيمات الكبرى على مستوى الانتماء الوطني، فستظهر لنا الحاجة الاجتماعية كمطلب ضروري لتحقيق نوع من التوازن النفسي، حيث يسعى له الناس بشكل غريزي محاولةً منهم لتعزيز الثبات الاجتماعي، عبر عملية متبادلة بين الفرد والمجتمع معبراً عنه الفرد بالانتماء والذي يقتضي وجود نوع من الإشباعات المادية والمعنوية والنفسية لدى الفرد في مجتمعه، وهذه الإشباعات من قبل المجتمع هي التي تدفع الفرد للشعور بالانتماء، ونرى أن هذا المطلب يتكون لدى الطفل عبر عدة عوامل (الأسرة أولاً، المدرسة، أصدقاء، العمل)، بحيث يحقق شرط التوازن والحاجة للأمان (ماسلو)، وبالتالي يصبح مستعداً لتلبية المراحل الأعلى في السلم الهرمي (تحقيق التقدير والذات).

وبالنظر لهذه العوامل بظروف الحروب والتي يكون فيها الطفل كحاضة لكل نتائجها على الصعيد الاجتماعي_النفسي، فإنها تأخذ بالتشكل بطرق مغايرة لواقع الطفل ومَرَضّية في بعض الأحيان (الأسرة، المدرسة، الأصدقاء) كمثال على ذلك (العنف بين الأطفال، أو استخدام الألعاب الحربية، تعنيف الطفل من قبل الأهل، الإهمال).

ووفقاً لما سبق فإن هذا المفهوم الاجتماعي المتمثل بالإنتماء اختلف وتغيرت كينونته عند الطفل وبالتالي نشأ بهذه الكينونة الجديدة معبراً بها عن حالة من اللاانتماء، وفقدان ثوابت كانت تعزز ذاته وتكرس الوجود الاجتماعي.

وكما هو معروف الآن أن الطفل هو الأكثر عرضةً وتأثراً بضغوط الحرب، من مشاهد العنف والقتل والدمار وإلى التهجير والنزوح وفقدان الأهل. حيث كلها تسبب نوع من الصدمة النفسية «Posttraumatic stress disorder» لدى الطفل، وبالتالي ونتيجة الظروف الجديدة التي تفرزها الحرب من نزوح وتغير الظروف المعيشية على الطفل وأسرته، يولد لدينا مفاهيم وقيم جديدة يحاول من خلالها الأهالي التوافق مع هذه الظروف المتطفلة على واقعهم (تغيير المسكن، عدم توافر عمل وبالتالي انعدام دخل ثابت، حرمان الأطفال من المدارس، نزول بعض الأطفال للعمل، فقدان القيم المعيارية التي نشأووا عليها على صعيد الحي والمدينة)، ومعها تتغير حركة المجتمع الصغير الذي يضم هؤلاء الناس وبهذا التغير تطرأ أسس اجتماعية جديدة خالية من الإنتماء (الإنتماء لوطن، لمجتمع حقيقي، لبيئة، عمل، مدارس).

إن الأطفال الذين فقدوا أسرهم من جراء الحرب يميلون لعدم القدرة على تشكيل الصداقات، وعدم الرغبة في الانتماء إلى الجماعة، وبما أن مفهوم الطفل عن ذاته يكتسبه في مراحل نموه الأولى، فإن الانفعالات مع الأشخاص المهمين في حياته وخصوصاً الوالدين تلعب دوراً مهماً، فالفروق في الأجواء الأسرية وطرق التنشئة يحدث فروقاً بين الأطفال في مكونات الشخصية، وبالتالي في تقدير الأطفال لأنفسهم. هذا وإن نظرنا إلى فروق أخرى طارئة، كوفاة الوالدين أو أحدهما، تفكك أسري، ضياع بعض الأطفال عن أهلهم. كلها حالات تفرض نوع مختلف للتنشئة والذي يؤثر كما ذكرنا سابقاً على شخصية الطفل وبالتالي على كيفية استقباله للمؤثرات الخارجية، وتحديد أدواره والحيز الذي من الممكن أن يشغله في الجماعة، وبالإضافة لكيفية التواصل مع الأفراد.

وبكل هذه المؤثرات التي أحاطت الطفل السوري، والتي جعلته ضمن خانة «طفل الحرب والأزمات» ففرضت عليه عبء هذه التنشئة الطارئة حاضراً، وتبعاتها الاجتماعية من تشتت واغتراب وضياع الانتماء إلى تشوه في مفهوم الوطن مستقبلاً، حيث تشكلت لنا أزمة وجود حقيقية ضمن الأزمة الحالية نفسها، فما هي السياقات التي خلفتها هذه المؤثرات إذا أردنا اسقاطها على مراحل عمرية أكبر (المراهقين، الشباب).

هذا ماسناقشه في العدد القادم

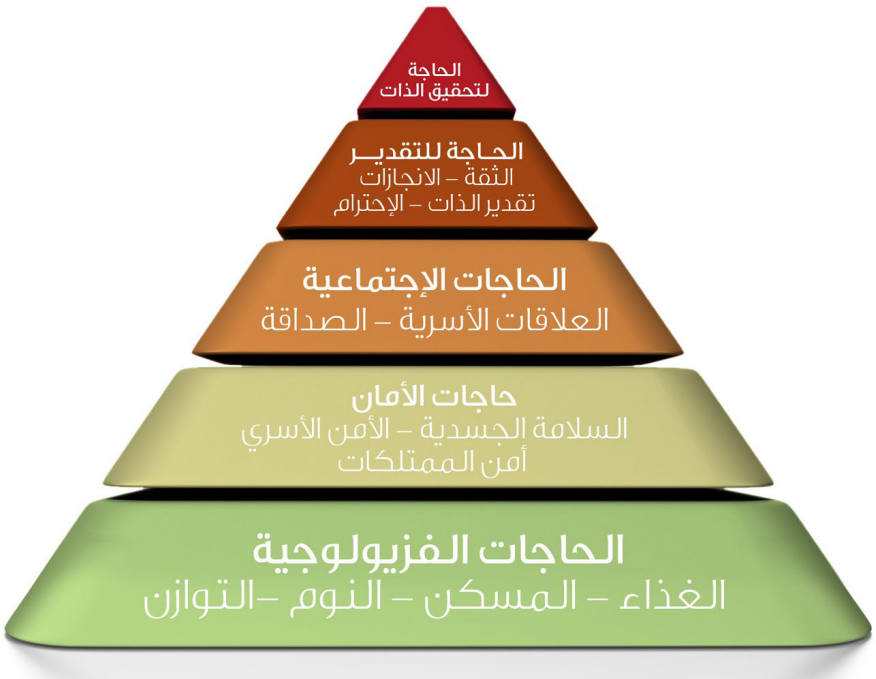

الشكل ١: هرم ماسلو للحاجات الانسانية

أُفّ من الحُكّام

عبد الرزاق دحنون

يكفيكَ حُزناً، ذَهابُ الصالحين معاً
ونحن بعدهم، في الأرض، قُطّانُ
إنّ العراقَ وإنّ الشام، مذ زمن
صِفرانِ ما بهما للمُلكِ سلطانُ
(من لزوميات فيلسوف المعرة)

١

هل وقف فيلسوف المعرة موقفاً صريحاً من حُكّام عصره؟ أزعم، نعم، فأنت تجد فيما وصل إلينا من آثاره ما يدل على مذهبه في هذه المسألة. فقد سخط على ما رأى من ظلم الملوك والأمراء، فتساءل عن مصدر السلطة التي أتيحت لهم، فلم ير لها مصدراً إلا الأمة التي استأجرت حُكّامها ليقوموا بمصالحها. يقول في لزومية:

إذا ما تبينا الأمور تكشفت
لنا وأمير القوم للقوم خادمُ

فلا يحق لهم استعمال هذه السلطة لمصالحهم الخاصة، ويتوهموا أن الأمة ملك يمينهم يتصرفون بها تصرف المالك برزقه. ولعله أول شاعر استثار سخط الأمة على حُكّامها، وعرّفها أن الحاكم أجير؛ والأجير يجب أن يعمل لمصلحة مستأجره؛ فإذا أخلّ بذلك استحق العزل والطرد من منصبه لأن المنصب تكليف. ولم أر شاعراً اجترأ على الحُكّام وأماط النقاب عن مخازيهم واستهتارهم بالرعية كفيلسوف المعرة:

مُلّ المقام فكم أُعاشر أمة
أمرت بغير صَلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها
فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

٢

لقد قدم لنا مثلاً فذاً لبسالة المجاهدة في عصر انحط فيه أهل السياسة إلى الدرك الأسفل، يسومون الناس ضروباً من الظلم والعسف، ولا يصدهم رادع عن منكر أو خزي، لذلك لا يكاد يصف أهل السلطة إلا بما يوجب النقمة عليهم. وكان يرى في الحُكّام وولاة الأمور السابقين من عرب وعجم من لا يقل شره عن أهل السلطة في زمانه. درس أحوال الملوك والرؤساء والأمراء والزعماء والوزراء والولاة في عصره درساً متقناً، وألمّ من أخبارهم وأحوالهم الشيء الكثير، وقد صور لنا بعض ذلك في شعره ونثره. أما الرؤساء فإنهم تولوا مناصبهم بالمكر والدهاء لا بالكفاءة والإخلاص. وهم عبيد لشهواتهم ومن اقترب منهم لا ينجوا من أذاهم، لذلك كان شديد الحذر منهم، وكان يستعمل المُدارة في الهروب من الاتصال بهم، ناهيك عن المثول بين يديهم، لأنه لم ير في ولاة الأمر من ملوك وأمراء ووزراء ونحوهم من يستحق أن يُحمد. وهم بين زير نساء، وعبد فرج، وجابي خرج. استباحوا من أموال الناس وأعراضهم ما حرم الله، ولم تعرف قلوبهم الرحمة ولا الخشية من الخالق ولا الحياء من المخلوق. بل هم شياطين مسلطون على المستضعفين في الأرض لا يهمهم إلا أن يملأوا بطونهم من الشهوات، وإن كان الناس في أقصى درجات الشقاء والفاقة والجوع، فقد:

ساس البلاد شياطين مسلطة
في كل مِصر من الوالين شيطانُ
من ليس يحفل خُمص الناس كلهم
إن بات يشرب خمراً وهو مبطانُ

وخمص: مفردها خميص، وهو ضامر الحشا من الجوع. والمبطان: الذي لا يزال ضخم البطن من كثرة الأكل. وإذا كان رعاة الأمر على هذه الصورة من الجور والانهماك في الملذات، والرعية متروكة لأقادرها، يعيث الفساد في أرزاقها، ويدفعها الشقاء لسف التراب:

يسوسون الأمور بغير عقل
فينفذ أمرهم ويقال ساسة
فأف من الحياة وأف منهم
ومن زمن رئاسته خساسة

كان يمقت الحاكم الذي يسرق أموال الناس، ويستبيح أعراضهم، ويسلط أعوانه عليهم، ويسومهم أنواعاً من الخسف والعسف، ثم لا يدفع عنهم شراً، ولا يحوطهم من الأشرار.

أبو العلاء المعري

٣

ففي جحيم فيلسوف المعرة الذي اصطنعه في رسالة الغفران كان رقيق القلب مع العامة فاختار أن تكون نار جحيمهم هينة، لينة، بسيطة، ومشاهد العذاب فيها معدودة محدودة، لا يكاد أطول مشهد منها يتجاوز الأسطر المعدودات، ولكنه اختار مشاهد عذاب جحيم استثنائية لشوس الجبابرة من الملوك والأمراء الذين ظلموا الرعية. وقد ختم المشهد القاسي لتقلب الملوك في نار جهنم وهم يستغيثون فيها: ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل. فيقول رب العزة: ذُوقوا فما للظالمين من نصير. لقد جاءتكم الرسل في زمان بعد زمان. وقيل لكم في الكتاب: واتقوا يوماً تُرجعون فيه إلى الله ثم تُوفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون. فكنتم في لذات الساخرة واغلين، وعن أعمال الآخرة متشاغلين، فالآن ظهر النبأ، ولا ظلم اليوم، إن الله قد حكم بين العباد. ولعله لا يفوتنا أن نقف عند لفظ الظلم الذي كرره هنا، وعند كلمة لذات الساخرة التي قذف بها في وجه الملوك في هذا المشهد، ولعلنا نقدر تقديراً عالياً تلك الآية التي ختم بها مشهده: لا ظلم اليوم. وإن الله قد حكم بين العباد. أتره يرنو إلى العدل في عالمه الآخر بعد أن رأى الظلم في دُنياه؟ أغلب الظن أنه كذلك.

٤

وقد كان يتمنى أن يقوم في الناس إمام عادل يملأ الأرض عدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. ورأى أصناف الحُكّام وأولي الأمر قد ركب كل منهم مطية الغرور والزهو، وانخدع بمدح المنافقين ونفاق المتزلفين. فأماط النقاب عن حقيقة ما هم فيه، وعن عاقبة أمرهم. وبين لهم أنهم فقراء

على غناهم ضعفاء على قوتهم. فقال يبين أنهم أفقر الأحياء:

وأفقر الناس في دنياهم ملك

يضحي إلى اللجب الجرار محتاجا

لعل السبب في ذلك ان الحُكّام لم يتولوا أمور الناس عن إجماع ورضى ولا عن جدارة وفضل ولم يكونوا من ذوي حسب رفيع وشرف عال، ولا من ذوي النفوس العظيمة، وإنما دار الزمان دورته حتى:

غَدا العصفور للبازي أميراً

وأصبح ثعلباً ضِرغام تَرْجِ

وجبن الناس عن الزود عن حياضهم بأيديهم، وأقفرت البلاد من رجل يقول كلمة حق في السلطان الجائر. ومن مجمل أقوال فيلسوف المعرة يتبين أنه لم يكن ناقماً على أهل السلطة ولا ساخطاً عليهم لأنهم كذلك، وإنما كان ينكر عليهم ظلمهم الرعية، وإفقارها، وذَلها، كي تستكين لأمرهم وخساساتهم. كذلك لم يكن مع ترك الناس فوضى لا سُراة لهم. وقد رأى فيلسوف المعرة أسباب هلاك الحاكم في أنه أحاط نفسه ببطانة من المنافقين، أقاموا حوله سياجاً من التعظيم الباطل والثناء الكاذب، فجعلوه حصيراً في قصره، واستقلوا بالأعمال وتصريفها على حسب أهوائهم. وهم يوجهون الحوادث والأوامر إلى ما يلائم رغباتهم ومنافعهم. والحاكم أو الرئيس لا يشعر بما يقع خارج الغرفة التي هو فيها، ولا بما يحدث في قصره الذي يأوي إليه، فيكون هلاكه.

الوطـــــن

صبحي دسوقي
رئيس دائرة الكتاب
وزارة الثقافة – الحكومة السورية المؤقتة

معزوفات لقيم وأخلاق لا تنسى
(هي محاولة لإعادة تدوين وترسيخ مجموعة القيم والأخلاق التي كانت سائدة في مجتمعنا، والتركيز عليها مجدداً تمهيداً لإعادة إحيائها):

(العين بعد فراقها الوطنا

لا ساكنا ألفت ولا سكنا)

هو مطلع من قصيدة كررناها مراراً في مدارسنا دون أن نستوعب مغزاها.

كانت مجرد كلمات جميلة معبرة حفظناها وما مست يوماً شغاف قلوبنا، إلى أن أُرغمنا على الرحيل عن وطننا حاملين في دواخلنا شوقنا وحنيننا وحبنا لذرات ترابه.

ما كان الوطن، ولن يكون يوماً مُجرّد تضاريس وجغرافية، بل هو تلك الأحاسيس التي تتماهى مع شهيق روحنا له، هو دماؤنا التي تسري في أجسادنا وترفض التوقف والسكون إلاّ به.

الوطنُ، ذاك الرغيف من الخبز الذي نستنشق رائحته العذبة التي تسري كفراشة في أوردتنا قبل أن نتناوله بشغف المحب.

هو ذاك التوق العاصف الذي يخلخل دمائنا، وأرواحنا، وأنسجتنا، التي تتماسك به وتتشظى حين يبتعد عن مرأى عيوننا.

الوطن أنا وأنت يتكامل بنا معاً ويرفض أن نكون يا أنا ... يا أنت.

وإنسانيتنا لا تظهر إلا عبر تضاريسه من جبال، وسهول، وأودية، وأنهار، وبحار. شوقنا يتعاظم، ويموت الصوت في دواخلنا من كثرة مناداتنا ومناشداتنا له.

هل نصرخ به ارجع إلينا كي نعود أقوياء ...نفرح بك ونشمخ، وحتّى حزنك يتحول إلى فرح؟ ...أم نناشده أن يتلمس لنا سبل العودة إلى أحضانه كي نريق دموعنا ندما على فراقنا له وتقصيرنا؟.

تُرابك أنقى وأغلى من ذهب يتلألأ في ليالي ابتعادنا عنك. الغربة، وآهٍ كم تغتال ما تبقى في داخلنا من أفراح كنا نخبئها ونداريها كي ننثرها على ترابك حين عودتنا.

وهل نعود .... هل نعود ... ؟؟؟؟!!!!!.

تساؤلٌ جارح يُدمي أفواهنا وحناجرنا التي ما توقفت يوماً عن ترداد الحنين والاشتياق له.

سنعود إليك كي نبني ما تخرب وتهدم، نُحوّل ترابك إلى لؤلؤة تشعّ بحبها على الدنيا.

من دمائنا التي أسالوها على ترابك نُشيّد أهرامات بأسماء شهدائنا تظلّ ساطعة في تواريخ وأزمنة قادمات.

وطننا ذاك الشامخ المتربع في قلوبنا سيداً على كل الأوطان والمنافي التي أُجْبرنا على تجربتها، فحملنا انكسارنا رايةً لخذلان العالم لنا، ولاجتماعه من أجل تكريس ابتعادنا، واغترابنا، وإرغامنا على الاعتياد على ذلّ الأمكنة وانكسارات الفرح في دواخلنا.

كلّما سمعنا ضحكات تنطلق في الفضاءات من حولنا نتكوّم على قهرنا ونلتحفه بدلاً من أغطية العالم الوثيرة.

تشهق في دواخلنا تلك الصباحات العذبة التي فتحنا عيوننا عليها وصار مسراها يتدفق في شرايينا وأوردتنا التي تنقل ما تبقى في دواخلنا من دماء من وإلى القلب (الوطن).

وطننا قويٌّ على كل محاولاتهم لإفنائه، وقادرٌ كما طائر الفينيق أن ينهض ويولد من جديد من رماده.

ومنذ بداية ثورتنا انطلقت مقولة (الموت ولا المذلة) واستبدلت تلقائياً بهتاف وشعار (سورية وبس)، لأنها تريدنا بين أحضانها أحياءَ كُرماء مرفوعي الرأس، متخلصين من مذلة لحقت بنا ورافقتنا طوال فترة الحكم الدكتاتوري الأسدي.

وسنظلّ نسترجع إحدى مقاطع أغانينا الشعبية الثورية التي عزفت على ذات الوتر ونرددها حتى عودتنا الأكيدة إليه.

(حتى ترابك جنة)

الأرواح تحت القصف

عارف حمزة

منذ الأيام الأولى للثورة السوريّة تغيّر كلّ شيء في حياتنا. في حياة كلّ الناس، الذين لديهم الحدّ الأدنى من الشعور بالقلق. فالثورة مقلقة في كلّ الأحوال، سواء للذين انتظروها، وسواء للذين تمنّوا إطالة أمد انتظارها، وعدم حدوثها. في تلك الأثناء فقدنا جميع العادات المحبّبة إلينا، أو التي اعتدنا عليها بالأحرى، في الزيارات والسهر خارج المنزل حتى ساعات متأخرة من الليل. في مشاهدة الأفلام والمسلسلات. في تربية الأطفال وحب الزوجة. في القراءة والكتابة. في عدم الانتباه لأصوات كثيرة كانت تحدث في الخارج... الخ. تغيّرت حياتنا بشكل فجائيّ لدرجة أنّه بات بالإمكان القول أنّ هناك أناساً آخرون سكنوا أجسادنا، وصاروا يأخذون أرواحنا إلى الأماكن التي تخصّهم، وقد لا تخصّنا. لم نعد «نمون» على الأيام والأسابيع والأشهر، ولا حتّى على الأماكن، كأشخاص أصيبوا فجأة بالانفصام عن أنفسهم!.

بعد أسابيع كثيرة تذكرتُ نفسي. وتذكرتُ بأنّني كنتُ أقضي وقتاً طويلاً في القراءة. تذكرتُ شغفي بها بعدما عشتُ، في تلك الأوقات الماضية، عادات الشخص الذي تلبّسني، والذي ما كان يُعطي للقراءة أيّ وزن. وفيما بعد اكتشفتُ أنّ جميع أصدقائي، من كثرة سؤالهم عن شجاعتي وكيفيّة عودتي إلى القراءة هكذا بسهولة، قد فقدوا جميعهم العادات المحبّبة إلى أنفسهم. وبأنّ شخصاً واحداً، يكره عاداتنا بالضبط، قد تلبّسنا جميعاً.

لم يكن كتاباً حديث الصدور هو الكتاب الأوّل الذي انتقيته لقتال ذلك الشخص الذي يكره القراءة، بل كان كتاباً قديماً قد قرأته لمرة واحدة على الأقل منذ سنوات. «الحنين إلى كاتالونيا» كان الكتاب الذي أخذته من رفوف مكتبتي، في مكتبي الواقع في وسط الحواجز الأمنيّة، وبدأت أقرأه بإحساس جديد.

ليس تقريراً صحفيّاً بحتاً، بل رواية، كما كتب على غلاف الكتاب الصادر عن وزارة الثقافة السوريّة في عام ٢٠٠٢، في ترجمة جيدة من عبد الحميد الحسن، وهي جزء من سيرة الكاتب الإنكليزيّ جورج أورويل (١٩٠٣ - ١٩٥٠)، عندما ذهب كمراسل حربيّ لنقل وقائع من الحرب الأهليّة الإسبانيّة، ولكنّه سرعان ما تطوّع مقاتلاً «إلى جانب إحدى الميليشيات الإسبانيّة اليساريّة، وخدم في جبهتي الأراغون والتيرول حتى وصل إلى رتبة ملازم. وقد أصيب بجرح خطير، إذ استقرّت رصاصة في عنقه، أحدثت تلفاً دائماً في حنجرته أثّر في صوته حتى آخر أيام حياته»، وصار يملك تلك البحّة الغريبة لمعطوبي الحروب.

كنتُ أقرأ الصفحات ببطء كعادتي في احترام الكتب. وكان ذلك البطء دليلاً جيّداً لأخذ أولئك الجنود الهزيلين إلى حتفهم من جديد. وأستمتع بملاحظات أورويل الدقيقة والصغيرة، في تلك الحرب الكبيرة، عن الأهالي الذين ذهبوا إلى الجبهات، قبل أن يكتمل عتادهم، وقبل أن يعرفوا ماذا يمكن أن يفعلوا في تلك الحرب. وينقل تفاصيل ذكيّة عن الأماكن، والحرب، والمتقاتلين، والنساء، والبيارق، واسطبلات الخيول والبغال التي تحوّلت إلى ثكنات، والخيول الأصيلة التي ذهبت أيضاً إلى الحرب. بتلك العين التي تخصّ المقاتلين المهزومين. بتلك العين التي تخصّ الذاهب للكتابة في الحرب، وليس للمشاركة فيها. سيرى، على إحدى الجدران المتهدّمة، إعلاناً يعود لسنة ماضية، يعلن أنّ «ستّة ثيران ظريفة» سوف تُصرع على الحلبة في اليوم الفلاني. سيفكّر في مصير تلك الثيران الظريفة وأولئك المصارعين الأظرف، في تلك الأيام التي لم تعد تقام فيها مصارعة الثيران حتّى في برشلونة. «فلسبب ما كان معظم مصارعي الثيران من الفاشيّين»!.

«كنتُ في سنّ يسمح لي بتذكّر أحداث الحرب العظمى، بالرغم من أنّني لم أكن وقتها في سنّ يُمكنني من خوضها. كانت الحرب عندي تعني المقذوفات الهادرة، وقطع الفولاذ المتطايرة، وتعني فوق كلّ شيء الوحل والقمل والجوع والبرد. والعجيب أنّني كنتُ أرتعدُ خوفاً من البرد، أكثر من خوفي من العدوّ المقابل». وهذا الكلام المخيف حصل عليه من كثرة مراقبته وخوفه، وليس في شروده وغنائه. فرأى أيضاً أنّ كثيراً من العسكريّين ضدهم لم يكونوا فاشيّين، بل كانوا مجبرين على أداء الخدمة العسكريّة ليس إلا، لذلك كانوا يفرّون للجبهة الأخرى في أيّة فرصة تسنح لهم. وبأنّ الجنود المرافقين له

عارف حمزة

كانوا «صبياناً» صغاراً لا يعرفون حتّى استخدام تلك الأسلحة التالفة التي بحوزتهم. وعندما فكّر بالطيّار الفاشيّ، الذي قد يُشاهد رتلهم الذي قطع تلك المسافة المضنية للوصول إلى الجبهة، تأكّد بأنّه لن ينقضّ عليهم ولن يرشقهم بالنيران: «فالمؤكّد أنّه، حتّى من ذلك الارتفاع، يستطيع رؤية أنّنا لسنا عساكر حقيقيّين»!.

كنتُ أنزل من المكتب دون أن أنسى أخذ «الحنين إلى كاتالونيا» معي إلى البيت، في الوقت الذي كنت أنسى أشياء أكثر أهميّة، كان يجب عليّ أخذها معي إلى البيت، كالخبز ومياه الشرب. وفي الطرقات الكثيرة لمدينتي البائسة، وضواحيها الأكثر بؤساً، كنتُ أتذكّر جملاً طويلاً تُعينني على النجاة في كلّ مرّة كان يحدث فيها انفجار أو قصف أو اشتباك. إنّها تشبه «ألكوبييري» التي كانت تقع مباشرة خلف خطوط النار، والتي نجت من القصف بالمدفعيّة، ومع ذلك لم تكن أحسن حالاً من القرى التي تعرّضت للقصف، إذ كان يعتقد أورويل أنّه «حتّى وقت السلم لم تكن لتستطيع أن تنتقل في هذا الجزء من إسبانيا، دون أن يصدمك البؤس المدقع للقرى الأراجونيّة. (..) إذ يندر أن تجد فيها، حتّى في أيام الربيع، زهرة واحدة في أيّ مكان».

مرّة علقتُ في المكتب، وأنفقتُ شمعتين كبيرتين، حتّى منتصف الليل، كي أتابع القراءة في صفحات الكتاب، بينما كانت أصوات الاشتباكات والقصف في الخارج تعلو وتعلو، وكانت تخفتُ أكثر فأكثر في أذنيّ. ولم أسمع صيحات الجنود والقنّاصة وخطواتهم الثقيلة على درج البناء باتجاه السطح. وكان البرد شديداً في أطرافي أيضاً. وشعرتُ بأنّني لن أخرج من هذا الخندق حيّاً بعد الآن.

أصحاب الجلالة والمعالي والسمو

عبد القادر العبيد

إحدى اجتماعات جامعة الدول العربية

أصحاب الجلالة والمعالي والسمو، يا من حجبتم الشمس بالأعلام..! اسمحوا لي أن اكتب مقالتي وأنا أقف على الكرسي. فذلك خيراً من الجلوس عليه في حضرة معاليكم. فالوقوف على الكرسي. يسمح لي برؤوية هاماتكم الشامخة على الدوام.! أتذكّر انه عندما كنا صغاراً، كُنّا ننام على حتوتةٍ تُلقيها على مسامعنا جدتي..

فمرّةً تَقصُ علينا قصة الغول والعنقاء. ومرةً أخرى تقصُ علينا قصة الذئب الذي حاول قتل قطيع من الغنم.. ومرّةً، ومرّة...وقد كان القاسم المشترك في كل الحكايات هو نهايتها بانتصار الحق على الباطل. وانتصار الخير على الشر. فكنّا ننام ونحن نحلم بغدٍ مشرقٍ. وإذا صَدفَتْ و جافا النومُ عيوننا. فإننا نبدأ بعمليةِ احتيال على الجدّة كي تروي لنا حكايةً أخرى. لكنها كانت سرعان ما تكتشفُ احتيالنا البريء. فتطالبنا بالنوم المبكّر، وتَعِدنا بإنها ستروي لنا حكايةٍ أخرى في الصباح. وهذا الوعد كان يساعدنا على النوم. فكنّا نغمض عينينا. ولا نفكر في شيء سوى في تلك الحكايا التي سَتُروى لنا عندما نصحوا. وهذا لم يكن حالي فقط. بل هو حال الملايين من الشعوب التي تقودونها.

فتلك القصص التي كانت تُروى على مسامعنا عندما كنّا صغار. هي في مجملها من تأليف جدّاتنا اللواتي استطعنَّ أن يحكْنَ قصصاً بسيطة تحاكي برائتنا. وتحث عقولنا الصغيرة على صناعة الخير الذي مهما هُزم لا بد وأن ينتصر. وعندما يختمنها بالنهايات السعيدة. كان القصد من خلف ذلك دفع الأمل في نفوسنا. ولكي يُبشّرْنا بغدٍ افضل. وأنّ الحياة مهما اشتدّت بها الكروب. لابد وأن تنفتح أساريرها بالفرج. وعندما كبرنا قليلاً سمعنا عن قادةٍ عظماء مقابل كلّ مدرسةٍ يُنشئونها يفتحون تسعاً وتسعين سجناً. ولأنني لستُ من هواة السجون فضّلتُ الحديث عن المدارس.. فعندما دخلنا مدارسكم. وقرأنا مناهجكم. لاحظنا اهتمامكم في التاريخ والقومية. كما لاحظنا إهمالكم للجغرافيا. ففي مادة التاريخ كنتم تسلطون الضوء في جزء بسيط على الفتوحات العربية التي جرت في العصور القديمة. وقرأنا عن بعض القادة العظام الذين قاموا بغزو الدنيا من أقصاها إلى أقصاها. ففتحوا بلاد العجم والروم و الفرس. ووصلت فتوحاتهم إلى الأندلس. وكانت جيوشهم تغزو أوربا بين الفينة والأخرى. وكانوا يجبرون الروم على دفع الجزية وهم صاغرون. فتطرقتم إلى كلّ تلك الإنجازات بجزءٍ بسيط من الكتاب. وتركتم القسم الأكبر للحديث عن تاريخ الأسرة الحاكمة، وبطولاتها و أمجادها. وقمتم بإخفاء كل الجوانب المظلمة في تاريخ هذه الأسر. واكتفيتم بإظهار البطولات المزعومة- حتّى ظننا أنّ انجازاتهم أكبر وأعظم بكثير من الفتوحات التي حققها العرب عبر العصور. فألّفتم كل هذا الإفك والتزوير فقط لكي تُقنعوا شعوبكم بأنكم خيرُ أمّةٍ أُخرجت للناس. وأنكم خيرةُ قادةٍ لهم. وأنكم كما يقول المثل الشامي (خَرَطكم الخرّاط، ومات). وفي الحقيقة لو أعدنا الأمور إلى نصابها الحقيقي، لاكتشفتم يا أصحاب المعالي والسمو، أن أسركم الحاكمة لو اجتمعت بمجملها. فلن يكونوا قادرين على فتح علبة «تونة».

أمّا إذا ما عدنا إلى القومية: فإنني أعتقد جازماً لو أن جدّتي قرأت منها سطرين فقط. لاستطاعت أن تؤلف لنا تسع مائةٍ وتسعة وتسعين خرافة أسطورية تهذي بها عن بطولاتكم المزعومة، التي لم نشاهدها سوى في أفلام الرسوم المتحركة كفيلم «ماوكلي، وروبن هود». ولكنّني أحمد الله أنها ماتت قبل أن نشهد هذه المأساة.

أما الجغرافية، فلتلك المادة روايةً مختلفة. فمناهجكم بمجملها تتحدث عن العروبة، ووحدة العرب. ولكننا لم نرَ هذه الوحدة سوى في خريطة الوطن العربي فقط.

أمّا بقية الكتاب، ففي مجمله يتحدث عن تربية الماعز في السودان. وتربية الإبل في السعودية. ويدخل قليلاً في تفاصيل الزراعة، فيُلقي الضّوء على زراعة النخيل في العراق. و زراعة الموز في الصومال. و هذا هو أقصى اهتماماتكم.

ولو نظرتم، يا أصحاب الجلالة والسمو، إلى القوى الإقليمية التي تجاوركم. كتركيا. وايران واسرائيل. لاكتشفتم أنَّ القومية والتاريخ، التي أفنيتم مفكّريكم بتأليفها، هي آخر اهتماماتهم. ولكنتم اكتشفتم أيضاً أن أولَ أولويات القوى الإقليمية التي تجاوركم هو «التركيز على الجغرافية». والنتائج على أرض الواقع هي خير دليل على هذا الكلام. فـ «تركيا». تحتل لواء اسكندورون السوري. واسرائيل ابتلعت فلسطين والجولان وأغوار الأردن وبعض الأراضي في جنوب لبنان، وما زالت تُطالب بالمزيد. أمّا إيران، فتلك روايةٌ مختلفة. فهي لم تكتفِ بالجزر الإماراتية وإقليم الأحواز. بل دخلت العراق ولبنان أمام أعينكم، وها هي اليوم تقاتل في سورية. ولديها مشروع للسيطرة على المنطقة بأسرها. في الوقت الذي تجهلون فيه أنتم حتّى جغرافية مخادع زوجاتكم.

يا أصحاب الجلالة والمعالي والسمو، أخشى ما

أخشاه، أن يأتي يومٌ ويصبح فيه المواطن العربي بلا وطن، والفضل الفضل في ذلك يعود لكم. وإذا ما حدثت سيصبح العربي يجوب الأرض وهو يَعْتل قوميته العربية على كتفه. فيجوب بها البلدان ولا يجد من يشتريها. لأن هناك من سبقوه على حملها وحاولوا بيعها بأبخس الأثمان ولم يجدوا مشترٍ. وإذا أصبحت شعوبنا تائهة بلا أرضٍ ولا وطن. فإننا لن نجد من يتعاطف مع قضيتنا. ولن يكون لنا وطناً نعيش فيه إلاّ إذا حدث متغير دوليّ يُغيّر الخارطة السياسية بمجملها. وحينها سنكون محظوظين جداً إذا قضت مصالح الكبار أن يتصدقوا علينا بقطعة من أرض صغيرة نحيا عليها، إقليم كما فعلوا مع اليهود في فلسطين.

أو كما فعلوا مع إخواننا الكرد في العراق. وهذا كله بسبب أنانيتكم واستئثاركم بالسلطة. فقد أصبحنا نخسر في كل سنة قطعة أرض، وفي كل عقد نخسر دولة بأكملها، وأنتم جالسون. خزّنتم السلاح لقتل شعوبكم إن قالوا «كفى» كي تبقوا جالسين. أرهقتم الشعوب، وقمتم بإذلالها كي تبقوا جالسين. قد ضاعت البلاد، وأُنهكت العباد وتقطّعت الأوصال وأنتم جالسون. قد نُهبت خيراتنا. واحتُلت أراضينا وقُتل أطفالنا وأنتم ما زلتم جالسين. قد أصبح العربي يقتل العربي، ويُحالف الغربي، وأنتم جالسون. تفرقنا لشيعيّ، وسنيّ، ودرزيّ، وعلويّ، ومسيحيّ، واسماعيليّ، وأنتم ما زلتم جالسين. قد أصبح العربي ممنوع من الدخول إلى بلاده إلا بتأشيرة. وأصبح يقف على شبّاك التذاكر لساعات فيملُّ الصبرُ من صبره. ويُضني حالهُ طول الوقوف وأنتم جالسون. حتى جدّتي قد ملّت النوم في قبرها، وأنتم ما زلتم جالسين. أمّا أنا يا أصحاب الجلالة والسمو، فقد مللتُ من الكلام، وأنهكني الوقوفُ على هذا الكرسي اللعين الذي أفنيتم شعوبكم من أجله. ولذا قررتُ أن أوجز لكم كل ما سبق بجملة بسيطة.

(أصحاب الجلالة والمعالي والسمو: «إن معبودكم تحتَ اقدامي»!).

المؤتمر الوطني خطوة باتجاه العدالة الانتقالية

عماد غليون

بعيداً عن الدخول في متاهات التحليل السياسي والعسكري، والحديث عن السيناريوهات لمختلفة بشأن كيفية سقوط النظام وتحديد مدى زمني لذلك، يلاحظ عدم وضوح الرؤية لدى المعارضة فيما يخص مستقبل سورية كدولة وشعب بعد السقوط المتوقع للنظام، ربما يكون الانشغال التام بإسقاط النظام دون التفكير بأي شيء ما وراء ذلك هو السبب.

طرحت المعارضة منذ بداية الحراك الثوري إسقاط النظام بكل مرتكزاته ومنظومته الامنية والعسكرية، ووجهت جهودها بهذا الاتجاه بشكل رئيس. واستمر الحال على ذلك أكثر من عام قبل أن تكتشف أن الإطاحة بالنظام ستؤدي للإطاحة بمؤسسات الدولة برمتها بشكل أكيد، وتحولت المعارضة عبر نصائح من الأصدقاء للتفكير في تقديم رؤية وتصور عن صورة سورية المستقبل، فكانت اجتماعات متتالية انتهت بإقرار ميثاق العهد الوطني من أجل سورية في القاهرة، والذي وقعته أطياف المعارضة المختلفة.

يعتبر الميثاق خطوة جيدة باتجاه عملية تقنين تضمن حقوق وواجبات متساوية لمختلف مكونات الشعب السوري القومية والمذهبية، وتم النص على ذلك بعد نقاشات صعبة، مع إقرار مبادئ واضحة للعدالة الانتقالية في البلاد عبر الحديث عن سورية المستقبل بأنها دولة

طفل سوري ٢٠١١

مدنية ديمقراطية تعددية، نظام الحكم فيها يعتمد تداول السلطة ويمنع احتكارها لصالح حزب أو فئة.

توقفت الجهود عند هذا الحد، وكان ينبغي الاستمرار في نقاش وتطوير هذا الميثاق وفق التغيرات في المواقف السياسية الدولية، والتي تحولت لاعتبار الحل السياسي هو الحل الوحيد للصراع الدائر في البلاد، حيث تم النص على ذلك صراحة في القرارات الدولية ذات الصلة بسورية، والصادرة عن مجلس الأمن والمنظمات الأممية والإقليمية.

رؤية الميثاق حول مستقبل سورية تبدو رؤية وردية حالمة، وتدل على بساطة في الطرح والمعالجة، ولا تلحظ سوى معارضي النظام ورغباتهم، بينما لا تلتفت لرغبات مؤيدي النظام وتوجهاتهم في مستقبل البلاد، فضلاً إلى أنها لم تذكرهم أصلاً، وربما اعتبرتهم من غنائم الحرب، وساقطون بسقوط النظام، ويجب فرض رؤية المنتصر عليهم فيما بعد بشكل طبيعي.

قصور المعارضة ذاك ولد حالة من عدم الطمأنينة في صفوف المؤيدين، وخاصة من الأقليات الدينية التي لم تستطع المعارضة مد جسور التواصل معها، وتقديم مزيد من الضمانات لها، وخاصةً عبر رفض منهج وسلوك بعض الجماعات المقاتلة المتشددة في صفوف المعارضة المسلحة ضد النظام، والتي ترتبط بتنظيم القاعدة بشكل مباشر، والتي كانت جبهة النصرة أول تنظيم معلن لها.

قام الشيخ معاذ الخطيب، كرئيس للائتلاف الوطني، بشكل غريب ومفاجئ برفض القرار الأمريكي بتصنيف جبهة النصرة كمنظمة إرهابية تابعة للقاعدة، وشكل ذلك تحدياً لوزيرة

الخارجية الأمريكية كلينتون وقتها -في مؤتمر أصدقاء الشعب السوري في روما- مما أدى لتراجع أمريكا عن وعودها بشأن تقديم أسلحة نوعية للجيش الحر.

ظهر تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام على شكل خليط من مقاتلين متشددين أجانب وسوريين، ولكن القيادة فيه كانت للأجانب، أو كما يسمونهم بالمهاجرين. ورغم ذلك فإن الائتلاف لم يتخذ موقفاً واضحاً أو حاسماً بشأنه منذ البداية، وعندما استفحل أمر التنظيم، واشتد عوده، وتحول باتجاه العنف ضد كتائب الجيش الحر وقياداتها، عندها بدأ الائتلاف يطلب الدعم لمحاربة التنظيم، ولكن بعد فوات الأوان.

بعد إعلان دولة الخلافة، تحول مسار الأحداث في البلاد بشكل جذري مع بروز قوتين رئيستين في الميدان، هما النظام وقوات تنظيم الدولة، وباتت المعارضة واقعة بين مطرقة النظام وسندان داعش، وكان عليها المسارعة هذه المرة للإعلان عن محاربة التنظيم، وطلب توجيه ضربات جوية أمريكية له، وكان ذلك هو الموقف نفسه الذي أعلنه النظام مما أدى توافق لأول مرة بالمواقف بينه وبين المعارضة وإن يكن بشكل غير متفق عليه.

الأمور تسير باتجاه تحالف دولي لمحاربة الإرهاب مع استبعاد النظام منه، ثم يتم العمل على طرح حلّ سياسيّ في البلاد، ربما عبر مبادرة عربية تعرضها مصر وقطر وتتبناها المجموعة العربية، وهي تدعو، حسب التوقعات، لإجراء حوار من أجل تشكيل حكومة انتقالية توافقية بصلاحيات كاملة، ولا يعرف كيف ستتم معالجة مصير رأس النظام، أو مساعديه الأساسيين في المبادرة.

لا يمكن تحقيق عدالة انتقالية في البلاد دون خطوات واضحة مرسومة للوصول إليها، ولعل الأهم هو الانتقال من فكرة التفاوض على كيفية استلام السلطة وانتقالها بين طرفين يمثلان المعارضة والنظام، إلى مؤتمر وطني عام يشمل كافة أطياف ومكونات وحساسيات الشعب السوري، خاصةً وأن الأحداث أكدت أن كلا الطرفين لم يكن لديه القدرة على تمثيل الشعب السوري بشكل حقيقي، كما أنهما مارسا سياسات الإقصاء والتهميش على الآخرين، ولم ينجُ الائتلاف من الوقوع في الفساد الذي كان حكراً على النظام وأعوانه.

إطلاق المؤتمر الوطني ليس أمراً سهلاً، ويواجه انعقاده صعوبات جمّة، تتعلق بشكل رئيس بطريقة التمثيل ونسبته، وآلية تحقيقه، وهذه كانت معضلة المعارضة المستمرة، مع الانتباه إلى أنّ تجارب الدول المجاورة، وخاصة العراق، أثبتت أن الهروب إلى الأمام، وعدم مواجهة المشاكل الصعبة منذ البداية، والعمل على تشكيل مجلس حكم على شاكلة مجلس بريمر، سيكون لذلك آثارٌ كارثية على البلاد في المستقبل.

معاذ الخطيب

لو تم اختيار التمثيل الوطني على أساس قوميّ وطائفيّ لأصبحنا في محاكاة لمؤتمر الطائف اللبناني، والذي لم يُؤمّن الاستقرار السياسي في البلاد، رغم انقضاء أكثر من ثلاثة عقود على انعقاده.

بعد التشظي الواسع في مكونات المجتمع السوري، بات السوريون يواجهون مشكلة مستعصية في تقديم ممثلين حقيقيين للمجتمع، خاصةً مع انحسار الهوية الوطنية لصالح الهويات الأضيق سواء الطائفية أو القومية.

لا مناص من المواجهة، ولا بدّ من عقد مؤتمر وطني سوري عام يمثل السوريين قدر المستطاع، لينبثق من خلاله عقد اجتماعي جديد للبلاد، وذلك عبر توافق الجميع على خارطة طريق تُحدّد ملامح المرحلة القادمة بكل تفاصيلها، والرعاية الدولية للمؤتمر لا بد منها، ويجب أن تتحول قراراته لتصبح جزءاً من الشرعية الدولية التي يطبق عليها مبادئ الفصل السابع، مع أن هذا يُشكّل بلا شك نوع من الوصاية على البلاد تحدّ من السيادة الوطنية، ولكن لا مفرّ من الوقوع فيه بعد أن عجز السوريون عن إيجاد حل بأنفسهم.

لا يمكن الانتقال لمجتمع مستقر متصالح دون العمل على تحقيق العدالة الانتقالية في البلاد، ولا يمكن الوصول لذلك إلاّ من خلال المؤتمر الوطني العام، ويجب أن يتمّ تحديد المفاهيم والأسس والإجراءات الواجب اتخاذها، وإقرار ذلك استناداً للحالة السورية، وليس اعتماداً على ما تم تحقيقه من تجارب للعدالة الانتقالية في دول أُخرى، كجنوب أفريقيا مثلاً.

من المهم البدء بخطوات عملية لرأب الصدع بين صفوف السوريين من مختلف المكونات القومية والدينية، وبمختلف اتجاهاتهم السياسية، وأن يكون هنالك خطة لإعادة تأهيل المجتمع بشكل كامل على المصالحة وروح التسامح، وأن تكون هنالك برامج خاصة تقوم بعملية إدماج الأطفال السوريين في نشاطات مشتركة، وبرامج ثقافية وتعليمية مكثفة وموجهة لهذا الغرض.

لا يمكن للمصالحة الحقيقية في المجتمع أن تنطلق قبل أن تبدأ مبادئ العدالة الانتقالية في التحقق على أرض الواقع، وذلك لإعطاء الناس الثقة والمصداقية بأنه سيتم تطبيق ما تم الاتفاق عليه، ومن خلال ذلك تكون السيادة لمبادئ الدستور والقوانين، ويمكن الحديث عندها عن مجتمع متصالح متسامح يستطيع تحويل البلاد من ركام إلى وطن حقيقي لكل السوريين الاحرار، لكن منذ البدء يجب أن يكون الجميع مشاركين في كل تفاصيل العملية بدون إقصاء أو تهميش لأحد، بعيداً عن نغمة المعارضة والنظام.

التفسير العقلي حول ما جرى بقادة أحرار الشام

ميرنا الصمدي

خرج الكثير من المحللين، والمؤولين، والخبراء السياسيين، والعسكريين، على الإعلام لتفسير ماهية الانفجار الذي أودى بحياة حوالي ٤٠ قائداً من تنظيم أحرار الشام في ريف إدلب.

ومعظم من خرج من محللين وخبراء كانوا يخلطون الحابل بالنابل، ويربطون تنظيم الدولة الإسلامية بنظام الأسد. فكانوا يُرجعون سبب الموت القادة بدون تشوهات إلى أنه ناجم عن احتمالية تعرضهم للغازات السامة، تلك المواد لا يملكها إلاّ النظام السوري، ثم يقولون أن تنظيم الدولة الإسلامية هو الذي كان خلف التفجير.

وإذا ما قيل لهم هل هذا يعني أن تنظيم الدولة الإسلامية يمتلك الكيماوي؟ يعيدون الأمور إلى النظام، فيدخلوا بعالم التأويلات التي تمسح معالم الحقيقة. وإذا ما أخذنا التفسير العقلي والمنطقي لما جرى، فإننا نستنتج -ومن خلال حيثيات الانفجار، ومكان التفجير، ومن خلال المعلومات الواردة من مكان الحادث- إلى أن القادة كانوا مجتمعين بمكان حصين جداً ومغلق. وهذا المكان يقع تحت الأرض.! ولا يمكن للنظام الوصول إليه على الإطلاق. خاصةً وأن الاجتماع كان سرّياً للغاية، و لا يعلم به سوى القادة أنفسهم. ومن خلال هذه الحيثيات نستطيع أن نستنتج ما يلي:

أولاً: الطيران خارج دائرة الشكوك، لأنه لا يمكن لعاقل أن يُصدق أن الطيران رمى قذيفة أو صاروخ فنزلت إلى داخل القبو، وأوقعت كل هذه الحصيلة من الشهداء. وإذا ما ذُكر الأمر على هذا السياق فإنه خارج نطاق المنطق والعقل. وهنا يجب علينا استخراج الطيران من دائرة الشكوك.

ثانياً: التحليل العقلي يقول: طالما أن الجميع كانوا داخل القبو. فهذا يعني أنهم في مكان مُغلق. وهذا يعني أن أي تفجير يحدث داخل القبو سوف يكون الموت المحتم هو مصير الجميع بدون استثناء، ومن لم يمت منهم عن طريق الشظايا. فأنه سيموت نتيجة الضغط الذي يولده الانفجار. ولا حقيقة ملموسة في متناول الجميع حول وجود أي استخدام للكيماوي. وكل ما قيل عن الكيماوي هو مجرّد تكهنات.

ثالثاً: تم عرض جميع قادة أحرار الشام على الأطباء. ولم يتم اكتشاف أي علامات تدل على استخدام الكيماوي. وهذا يدفعنا إلى إخراج موضوع الكيماوي خارج دائرة الشكوك أيضاً.

والدليل العقلي الأقرب للمنطق يقول أنهم قُتلوا نتيجة الضغط الذي ولده الانفجار في المكان المغلق الذي كانوا يجتمعون فيه.

رابعاً: لو افترضنا أن النظام كان وراء العملية فعلاً. فهل سيقوم بتفجير المكان من خلال سيارة أو عبوة ناسفة؟ ولماذا لم يُقدم على هذه الخطوة منذ زمن؟. ومن خلال قراءتي لحيثيات الحادث من كل جوانبه. أرى أن احتمالية تورط النظام بهذه الجريمة هي احتمالية ضعيفة جدّاً لأنه لو كان بمقدوره فعل ذلك لفعله منذ زمن بعيد.

النتيجة، نحن أمام أحد احتمالين ولا ثالث لهما:

I.ألاّ يكون هناك أي متورط في هذه العملية. وقد يكون الانفجار ناجم عن خطأ عملياتي وقع داخل المقر، وأثناء وجود القادة. خاصةً وأن المقر يحتوي على مستودع أسلحة، ولا أستبعد هذا الاحتمال، لأن هناك حادثة مشابهة حدثت في حمص القديمة أودت بحياة ٣٦ قائداً من حوالي أربعة أشهر.

II.أن يكون هناك اختراق حدث من قبل تنظيم الدولة الإسلامية تحديداً وهذا احتمال وارد أيضاً

ولأسباب عديدة:

١-تنظيم الدولة الإسلامية يمتلك المعلومات الوافية عن تنظيم أحرار الشام أكثر من النظام بكثير، خاصةً وأن هناك الكثير من مقاتلي أحرار الشام انضموا إلى تنظيم الدولة الإسلامية. وبالتالي زودوه بأدق التفاصيل عن اجتماعات القيادات وتحركاتهم.

٢-توقيت الانفجار: فتنفيذ العملية بنفس الوقت الذي أعلن فيه الأمريكان عن طرح إستراتيجية لمحاربة تنظيم الدولة الإسلامية في سورية. واجتماع قادة أحرار الشام الذي يجمعهم بتنظيم تنظيم الدولة الإسلامية عداءٌ قديم. قد يكون سبباً دفع بتنظيم الدولة الإسلامية إلى ربط الأحداث ببعضها، واستنتجوا أن هذا الاجتماع عُقد من أجل محاربتهم بدعم أمريكي. خاصةً وأن تنظيم الدولة الإسلامية ينعت تنظيم أحرار الشام بالصحوات. وقد يكون هذا مبررٌ قوي جداً دفع بتنظيم الدولة الإسلامية للقيام بهذا العمل.

٣-التوقيت ليس من مصلحة النظام إطلاقاً كي يقوم بقتل قيادات أحرار الشام بهذا الوقت تحديداً، لأنه على علم ويقين بالعداء القائم بين فصيل أحرار الشام وتنظيم تنظيم الدولة الإسلامية. وهو المستفيد الوحيد من هذا العداء، وليس من مصلحته إطلاقاً إنهاء فصيل أحرار

آبو يوسف البدوي

الشام، وهو قد بات يشعر بالخطر الحقيقي من تنظيم الدولة الإسلامية، ويعلم علم اليقين أن فصيل أحرار الشام هو فصيل منظم ويمتلك القدرة على إضعاف تنظيم الدولة الإسلامية.

٤-تنظيم الدولة الإسلامية يعلم علم اليقين أنه لا يوجد فصيل يقاتل بعقيدة مذهبية ثابتة سوى فصيل أحرار الشام، وهذا يعني أنه سيكون خصماً عنيداً جداً في ساحات القتال، لذا كان تنظيم الدولة الإسلامية يتحيّن الفرصة بين الحين والآخر لإنهاء فصيل أحرار الشام بالضربة القاضية. كي يبقَ هو المتصدر في واجهة الفصائل الإسلامية. خاصة وأنه يسعى بكل طاقاته للسيطرة على المنطقة الشمالية بأكملها، ولم يكن هناك عثرة تقف في وجهه سوى تنظيم أحرار الشام.

٥-ضربة من هذا النوع قد تدفع بالكثير من مقاتلين أحرار الشام للانضمام إلى تنظيم الدولة الإسلامية.

أمّا ما قيل عن كيماوي وطيران وتأويلات خرافية، فأعتقد أنه بعيدٌ عن منطق العقل. وكل هذه التأويلات ساهمت في تشويه الحقيقة. والأَوْلى بقادة أحرار الشام أن يبدؤوا التحقيق بأصحاب المقر أنفسهم. لأن هذا الحادث إذا كان ناجماً عن اختراق ما. فهذا يعني أنه ستتلوه اختراقات أخرى. ولا بد من إظهار الحقيقة وتقديم الجناة إلى المحاكمة ومحاسبتهم، لأنهم لم يرتكبوا مجزرة بحق قادة أحرار الشام فقط. بل بحق الثورة السورية بأسرها.

وأخيراً .. التدخل العسكري في سورية

محمد كيّاري

لم تكن ردة الفعل الإعلامية للنظام السوري في الأسبوع الأول من الثورة عليه، سوى تبشيراً لما ستنجر إليه سورية فيما لو استمرت هذه الثورة، وبالفعل كلّ المآلات التي ضختها وسائل إعلامه لتخويف السوريين من المُستقبل القاتم نراه يتحقق اليوم تباعاً، لم يكن هذا النظام من ذوي الوحي وعلم الغيوب بكل ذلك، بل لأنه الخالق والمنتج الأبرز لكل الصور التي غيرت وجه سورية اليوم. انطلاقاً من ترويج أن الثورة هي لم شمل للعصابات التخريبية وأن كلّ الذين ثاروا ما هم إلا خونة وتوابع مرتهنين للخارج، أو أن الإسلاميين المتشددين هم محرّك التظاهرات ضد النظام لتشكيل الإمارات الإسلامية، وتهديد روابط التعايش بين مكونات الشعب السوري، ووضَع أمامنا نماذج كالعراق وأفغانستان. كلّ تلك الصور كان يُبشر بها النظام، و بالفعل استطاع إلى حدّ كبير ضخَّ كل ما بوسعه ليطبع الحال في سورية بهذه التراتبية، لنقف اليوم أمام الثورة، ونجد أن لها وباسمها -أو نتيجة للفوضى المرافقة- تحققت أغلب أقاويل النظام، دون الخوض في يقينية اختراقه لمعارضيه من جهة، ودفعهم للوصول لمبتغاه بتصوير الثورة على أنها إسلامية وموسومة بالإرهاب الذي يروق له، و الفوبيا الأكبر التي تدغدغ مشاعر العالم و تصيبهم بالهلع، ألا وهي الفوبيا من التطرف الإسلاميّ التفخيخيّ وقاطع الرؤوس. ثلاثُ سنوات و نصف بالتمام هي المدة التي احتاجها النظام لبلوغ ذورة طموحه في الحشد عالمياً ضد الإسلاميين التكفيريين، وبالسياق نفسه من وجهة نظره ضد الثورة، لنرى و نسمع اليوم بداية التدخل الدولي من خلال التحالف الذي شكلته الولايات المُتحدة من دول عربية وغربية لضرب تنظيم «الدولة الإسلامية» في سورية والعراق، وبذلك يكون الانتقال لحلقة جديدة من الحالة السورية، وهي ربما الحلقة الأكثر تعقيداً.. لاشكّ أنّ الثلاث سنوات والنصف الماضية أضعفتْ النظام سياسياً وعسكرياً، وانحسرتْ سلطته وتأثيره المباشر في المنطقة إلى حد كبير، ولا شكّ أيضاً أنّ هذا يُعتبر غاية وهدفاً تسعى إليه المنظومة الدولية التي لا تتلاقى مع النظام السوري ولو حتى شكلياً، وبالتالي كلّ ما قامتْ به هذه المنظومة هي إضعاف الأسد إلى الحد المسموح به، وعلى الجانب الآخر تدمير سورية بيد الأسد لا بيد غيره دون أي تدخل مباشر من تلك الدول، واكتفاء العالم ومنظماته، وهيئاته، ومؤسساته أجمعها بالوقوف متفرجين على هذه المقتلة السورية التي كان ضحيتها الأولى و الأخيرة سورية بشعبها وبنيتها التحتية لأجيال. تمدد «تنظيم الدولة» في أرجاء سورية والعراق، ووصلتْ إلى مستوى مقبول من الارهاب الذي سيكون المُبرر الكافي للتدخل العسكري بحجة تهديد المصالح الغربية والتغيير الديموغرافي في المنطقة الذي يسببه الفكر التكفيري على حد قولهم، وكان ذبح الصحفي الأميركي جيمس فولي على يد التنظيم الإشارة الأولى لبدء تشكيل التحالف الدولي، أما النظام السوري فقد برزَ بهيئة المُتوسل هنا وهناك لضمه لهذا التحالف، سعياً منه لتحسين صورته أمام العالم على أنه مُكافح مُرّ للإرهاب، وأنه وقعَ ضحيتهُ خلال السنوات الماضية، وردّدَ جملة في الإعلام تكاد تكون من أسخف ما سمعهُ الشعب السوري تاريخياً و هي أن الضربات التي ستتم في سورية دون الرجوع للنظام والتنسيق معهُ ستعتبر انتهاكاً للسيادة السورية، وكأن كلّ ما فعله النظام وردات فعله خلال الأربعين عاماً الماضية، سواءاً بروده على العدوان الاسرائيلي المُتكرر، أو صيانته لكرامة المواطن السوري داخلياً وخارجياً، ما هي إلا نوع من الحفاظ على السيادة الوطنية!! وبمعنى آخر، النظام يعتبر نفسهُ اليوم أنه المُشرع الوحيد، والوكيل الحصري للعدوان على سورية، واختراق سيادته. من يريد العدوان فليتصل بهِ و يحدد الزمان والمكان المطلوب للعدوان. والمُضحك أيضاً هو التجاوب الأميركي المُسخف لطلب نظام الأسد المشاركة بالتحالف والرافض قطعاً. وحتّى بعد بدء غارات التحالف حاول النظام أن يُروّج خبر إخطاره بالغارات قبل ساعات من تنفيذها، وردّت الخارجية الاميريكية بالنفي. وعلى المقلب الآخر كانت المعارضة السورية المعتدلة منها حسب التوصيف الغربي لها تظن للحظات أن هذا التدخل جاء لإنقاذ الشعب السوري من إجرام نظام الأسد، وأن غالبية أعضاء هذا الحلف هم ما يُعرفون سابقاً بأصدقاء الشعب السوري، لنجد أن ضحايا الغارات الأولى والقصف الصاروخي المُرسل من قوات التحالف كانوا أغلبهم مدنيين في مناطق المعارضة. أما المعارضة السورية التقليدية المتمثلة بائتلافها، فقد رحبتْ بهذا التدخل، وتلاقى ترحيبها بالتصريحات الصادرة من دمشق، والتي رحب فيها الأسد أيضاً، بغارات التحالف الدولي. وهذا التلاقي الأول بين المعارضة والسلطة في سورية.

التحالف العسكري المُشكل حديثاً لم ترشح عنه حتى الآن الخطط الواضحة ومدى وآلية التأثير في حل المعضلة السورية، لكن تأتي بعض التصريحات بالقول أن هذا التحالف سيُطبق على الإرهاب في المنطقة أينما وُجد، دون أن يوضح فيما إذا كان الأسد قد وضع على لائحة الأهداف في مرحلة لاحقة. لكن يبقى التحالف ضد تنظيم الدولة الإسلامية وحدها وترك الصلب الذي ولدتْ منهُ سيكون بمثابة إطفاء الحرائق بمواد قابلة للاشتعال، وبالتالي المزيد من التطرف سيكون أحد ردود الفعل المستقبلية في المنطقة.

المدة المتوقعة للعمليات العسكرية التي أعلن عنها التحالف قاربت الثلاث سنوات، والتكلفة المبدئية قاربت ١٠ مليارات دولار سنوياً، وهذا يعني أن المخطط الاقليمي والغربي لسورية لايزال يحتاج المزيد من الوقت، وبالتالي المزيد و المزيد من الدماء و الدمار، و المُلفت للنظر أن كلّ هذه التكلفة و الحشد الضخم عسكرياً للعدوان على سورية، كان الشعب السوري يطلب الجزء اليسير منه من حظر جوي أو مناطق آمنة لا تصلها براميل و صواريخ النظام السوري، كان ذلك قبل ظهور داعش بسنتين، و هو ما أحجمَ عنهُ أصدقاء الشعب السوري والمجتمع الدولي بحجة الفيتو الروسي الصيني، و اليوم تكشّفَ أن هذا الفيتو ما كان إلا شماعة ليُعلق عليها التخاذل الدولي في مساعدة الشعب السوري، و تركه ضحية إرهاب النظام وحزب الله، لأن هذا الإرهاب مُرخص ومُرحب بهِ، ويصل بسورية إلى الدرك الأسفل من الجحيم المرغوب به إقليمياً و دولياً دون تكاليف باهظة. الحل المُفترض أن يكون سوريةً وبين أطراف سورية كان الغائب الوحيد عن كلّ ما حدث، أنصار كلّ طرف واصلوا تبعيتهم لهُ، والطرف الثالث ما بينهما يُكيل له طرفي الموالاة والمعارضة تهم الخيانة و التبعية للطرف الآخر، ولا تلوح في الأفق أية حلول لوقف نزيف الدم السوري، وليس للسوري اليوم سوى الحرمان والتهجير و الموت بأشكاله المتوفرة .

لن تفشل الثورة السورية

مروان عبد الرزاق

المجلس الوطني السوري - المؤتمر التأسيسي

-١-

مثل أية ثورة في العالم، واجهت الثورة السورية منذ انطلاقتها قبل اكثر من ثلاثة أعوام، النقد والتشكيك بها، وتوصيفها على أنها ليست ثورة شعبية، بحجة أعداد المتظاهرين القليلة، وغياب القيادة والبرنامج السياسي. وعندما تشكلت الهيئة العامة للثورة، واتحاد التنسيقيات, وأعلنوا أن أهداف الثورة هي اسقاط الاستبداد، وبناء الدولة المدنية الديمقراطية التي تمثل كل الشعب. انصب النقد على شباب الثورة باعتبارهم غير معروفين وغير مشهورين. ومع تزايد حجم المظاهرات وانتشارها في كل المدن السورية، أصبح توصيف الثورة على أنها ثورة فلاحية ذات وشعارات إسلامية. وعندما نهضت مدينة حماة بالكامل ريفاً ومدينة، أصبح السؤال: أين المدن الكبرى حلب ودمشق؟

هذا النقد حمل لواءه أغلب المثقفين السوريين، من كتاب، وصحفيين، وفنانين، والطبقة الوسطى عموماً. لأن كل واحد فيهم كان يريد ثورة وفق فهمه ومصلحته الخاصة. هذا «الناقد الأعور» الذي كان يرى الأعداد القليلة للمتظاهرين الذين يلاحقهم الرصاص، ولا يريد أن ينظر إلى المظاهرات الكبرى في حماة وغيرها. ويشعر بالأسى والأسف الكاذب على موت المتظاهرين السلميين، ولا يدين الطاغية القاتل. هذا المثقف الموارب، كان يبحث عن المبررات لوقوفه المتخاذل ضد الثورة دون أن يصرح بذلك علناً، وقد أرعبه شعار «إسقاط النظام». لكن بالمقابل كان المناخ الشعبي العام مؤيداً للثورة على الرغم من سقوط الشهداء كل يوم، وكان هذا كافياً لاستمرار الثورة.

-٢-

وبفعل العنف الفظيع للنظام وتحول الثورة إلى ثورة مسلحة، انضم إلى الجوقة العديد من السياسيين القدامى، والجدد الذين نهضوا إلى جانب النظام وبرعايته خلال العقد الأخير، وصرخ الجميع: الآن انتهت الثورة. والحجة هنا: أن العنف لا يولد إلا العنف، والدم لا يولد إلا الدم، وأن الانتقال السلمي التدريجي هو الأفضل نحو الحرية والديمقراطية. وانقسمت رموز المعارضة القديمة المهزومة تاريخياً إلى شظايا متباعدة. «هيئة التنسيق» رفعت شعار لا للعنف، وارتاحت في حديقة النظام الخلفية. و«المجلس الوطني» تشكل في استنبول ووضع لنفسه مهمة توفير الدعم للثورة على الطريقة الليبية. وباقي المثقفين تناثروا ليعمل كل واحد فيهم دكاناً يجمع فيه بعض المريدين.

-٣-

تراجع النقد قليلاً مع تصاعد الخط البياني للثورة حتى نهاية العام الثاني من عمر الثورة. حيث كان الجيش الحر يتقدم على الأرض في كل المناطق والمدن، والأمل بالدعم العربي والدولي، ووجود حاضنة اجتماعية واسعة للثورة، والفرح مرسوم على الوجوه لأن النظام سيسقط قريباً!.

لكن بعد دخول مدينة حلب بأشهر قليلة بدأت المراوحة في المكان، وبرزت استحقاقات هامة واجهت الثورة، وكان أهمها: أولاً، وجود قيادة سياسية للثورة في الداخل. وثانياً، الانتقال من العفوية العسكرية التي تشكلت بموجبها الكتائب المسلحة، إلى تشكيل جيش وطني ثوري بقيادة عسكرية موحدة. وثالثاً، إدارة المناطق المحررة.

ولأن القائمين على الثورة، «المجلس الوطني، ثم الائتلاف»، وقادة الكتائب العسكرية, والذين احتكروا تمثيلها فشلوا في الاستجابة للاستحقاقات المذكورة، فإن الثورة لم تنتصر حتى الآن. وهذا الفشل أفرز بدوره نتائج كارثية على الثورة. أولها: الفوضى غير «الخلاقة»، واختلاط الحابل بالنابل، الثوري والانتهازي، الجيش الحر واللصوص، وغياب الأمن والآمان. وثانيها: غياب الجانب المدني والسياسي عن أرض الثورة. وثالثها: سيطرة التكفيريين على مساحات واسعة من المناطق المحررة. ورابعها: فقدان الجيش الحر لحاضنته الاجتماعية. وخامسها: فقدان القرار الوطني المستقل. وفي النهاية تم تشكل بما يمكن تسميته «مستنقع الثورة».

مع تشكل المستنقع الجديد، وانحسار المد الثوري، برزت تشكيلات جديدة من النقاد من مثقفين وسياسيين متنوعة المشارب والاتجاهات، كانوا قد هاجروا من الداخل السوري، ومن المقيمين في أوروبا منذ عقود، ليستقروا في تركيا بقصد حجز مكان لهم في قاطرة الثورة. وجميعهم يدعون الإنتماء للمعارضة والثورة. وقد شكلوا خليطاً عجيباً من انتهازيين وشبيحة سابقين، ومنافقين، ومعتوهين سياسياً وثقافياً، وكذلك مدراء شركات وأصحاب أموال.

وتحول الاتجاه من نقد النظام إلى نقد المعارضة والثورة بشكل كامل، وبرز بشكل عام النقد الانتهازي للثورة والمؤسسات الإغاثية والسياسية التي أفرزتها. ولم يكن الهدف من النقد التقويم أو الإصلاح، وإنما تشويه صورة الآخر حتى يأخذ مكانه. وبدأت تظهر إلى السطح مقولة النظام عندما وصف الثوار كمجموعات إرهابية،

ولصوص. وأيضا تمّ الترويج إلى أن الثورة قد سُرقت من قبل التكفيريين الذين على الأرض، وكذلك سُرقت على المستوى السياسي، حين فقد الائتلاف القرار الوطني المستقل، والذي أصبح بيد الدول الإقليمية والدولية. وبرزت نظريات مثل «ثورة بدون ثوار»، واستنتاجات مأساوية تلخصها مقولة أن انطلاقة الثورة كانت خطأً كبيراً، لأن المجتمع السوري لم يكن جاهزاً للثورة. وكأن الشعب بحاجة لأن يطلب الإذن من أحد ما حتى يُسمح له ببدء ثورته أم لا!.

لكن المأساة تتجلى في بروز النقد الذاتي، والذي اختص به أكثرية أعضاء الائتلاف الوطني الذين يدّعون تمثيل المعارضة والثورة. وقد تمحور هذا النقد حول:

أولاً: معزوفة الهزيمة، وكان دائماً يتمّ تحميل المسؤولية للمجتمع الدولي لأنه لم يتدخل لوقف الدماء، دون أن يشعروا بمسؤوليتهم في فشلهم للاستجابة لاستحقاقات الثورة في الداخل، وعدم التفكير أصلاً في ضرورتها.

وثانياً: التباكي الكاذب حول فقدان القرار الوطني المستقل. ودون أي خجل وشعور بالمسؤولية، ودون أن يعترفوا بأنهم هم الذين وضعوا الثورة على مائدة الدول الغربية والإقليمية لتسييرها واتخاذ القرارات المناسبة لإفشالها.

وثالثاً: نقد الائتلاف لذاته لأنه فشل كقائد فعلي للثورة. والجميع في الائتلاف متفقون على ذلك. وهو اعتراف يشكل مقدمة هامة للإصلاح. لكن الجميع يرفض تحمل المسؤولية، وكل مجموعة، وكل عضو يتهم الآخر بأنه هو المسؤول. الكل يتهم الكل. بالإضافة إلى المتهم الدائم وهو المجتمع الدولي والإقليمي. ومعيار الاتهام هو عدم تناسب الآخر مع الشخص الناقد ومصلحته الشخصية وداعميه. إلى حد أن أحدهم صرح علناً -بعد نتائج الانتخابات الأخيرة داخل الائتلاف، والتي لم تعجبه، ولم تأتِ على مقاسه- بأن «غالبية أعضاء الائتلاف لا علاقة لهم بالثورة، لا بفكرها ولا بنشوئها. يبحثون عن مصالحهم وأرزاقهم وعن ترضية السلطة على الطريقة البعثية». ويبشر الشعب بالخطر بأن «لا تكون هناك ثورةٌ خلال أشهر قليلة، إذا واصلنا النهج الذي اعتُمد في الائتلاف خلال العام الماضي». وهذه صفة مشتركة للأغلبية الساحقة لأعضاء الائتلاف، المنشغلين في الصراع على السلطة الوهمية، واستمرار التسلط و«التعيّش» على حساب الثورة وباسمها، وفق ديمقراطية «المكونات» «السيئة الصيت».

وبدلاً من أن يكون النقد الذاتي مدخلاً حقيقياً لإعادة البناء من جديد، وتصحيح دائم للمسار، نجده يهدم ويشوه ما تم بناؤه، ويُبرز المصلحة الشخصية أو الفئوية كبديل عن المصلحة الوطنية. إنها محاولة للتعمية، والتهرّب من المسؤولية ومواجهة فشلهم، والاعتراف الحقيقي بأسباب هذا الفشل، وبالتالي الاستهانة بعقول الشعب السوري الذي أصبح الائتلاف برأيهم أقرب إلى المأساة. وعندما يتحول النقد الذاتي إلى النقد الأعور تكتمل أركان المأساة التي تجثم ككابوس فوق صدور الشعب السوري.

أيّ بؤسٍ وبلاءٍ هذا الذي ابتُليت به الثورة السورية!!

-٤-

الثورة لم تنجح حتى الآن، لكنها لم تفشل. هي ثورة مستمرة إلى أن يسقط الطاغية، وكافة أشكال الاستبداد القديمة والجديدة. وخاصة أن الطاغية لن يكون قادراً على إعادة الشعب إلى حظيرة الطاعة من جديد. إنها ثورة دائمة، مازال يحمل لواءها العديد من الكتائب المسلحة الثورية، والتي لم تختلط باللصوص والانتهازيين، وإن يكن صوتهم أصبح خافتاً في هذه المرحلة. ومجموعات سياسية جديدة ستبرز من رحم المخاض الجديد الذي تمر به الثورة، والتي سيفرزها النقد الشعبيّ الحقيقيّ والنابع من معاناة الملايين من السوريين المشردين في دول الجوار، والنازحين في الداخل الذين لا يجدون قطرة ماء، والمنسيين في السجون. وستلفظ صيرورة الثورة كل من تسلط عليها من تكفيريين وأشباههم إلى مزبلة التاريخ, وستنتج من جديد صفحتها المشرقة رغماً عن الجميع.

إن من يبشر بانتهاء الثورة -مع حسن النوايا- لا يمتد نظره لأبعد من أنفه. إنه لا يرى إلا ذاته الفاشلة والتي لم تكن الثورة وفق مزاجه الضيق والمهزوم. فالثورة أكبر من أي فرد مهما كان.

والثورة ليست بحاجة إلى حلول سحرية، أو شعارات خطابية لا فائدة منها. الثورة بحاجة إلى نهضة حقيقية من شباب الثورة، فحواها العمل الفعلي للإجابة على أسئلة الثورة، ولماذا لم تنتصر الثورة حتى الآن، وقراءة حقيقية للواقع الراهن، وكيف يمكن الانطلاقة من جديد.

الدفاع المدني - ريف إدلب ٢٠١٤

عجلة التنمية الإدارية تسير على أرض بور

سعيد محمد

بكل بساطة قدّم وزير التنمية الإدارية حسان النوري، خطة عمل وزارته في حكومة الحلقي بنسختها الثانية، مبدياً استعداده لتنفيذ المهام الموكلة إليها، مشيراً إلى أن المشاكل التي تعاني منها الإدارة الحكومية في سورية، والإجراءات المطلوبة للمرحلة القادمة هي تحقيق تنمية إدارية حقيقية وملموسة لإصلاح وتطوير الإدارة، هذه العبارة التي يتحدث بها النوري عن تطبيق التنمية الادارية في مؤسسات والدوائر الحكومية، تعود إلى عقود من الزمن. فالجميع يُنظّر ويتحدث عن حاجة مؤسسات القطاع العام إلى تطوير إداري، يبدأ من رأس الهرم وينتهي عند قاعدته. فالكلام النظري شيئ، والتطبيق العملي شيئاً آخر . فإذا عدنا إلى تاريخ تشكيل وزارة الشؤون التنمية الإدارية، فإن الأمر يعود إلى منتصف بداية الألفية الثانية، حيث كثر الحديث عن الإصلاح الإداري، واقتراح استراتيجية للتنمية الإدارية من خلال وضع أولويات تنطلق من تحليل ودراسة الواقع الحالي لمؤسساتنا، بالتزامن مع إطلاق عبارة ضرورة وضع الرجل المناسب في المكان المناسب لنجاح أي عمل. ويردد كُثر من مسؤولينا الأشاوس التشديد على ضرورة تحقيق الإصلاح الإداري في جميع مفاصل مؤسسات الدولة.

لكن كيف سنطبق الاصلاح الإداري في مؤسسات القطاع العام، في ظلّ سيطرة المحسوبيات على إدارة هذا القطاع؟ وهل لدى النّوري استراتيجية وطنية تعني بنظام إدارة الأداء، وقياس الأداء المؤسسي، وتحسين الأداء والإنتاج معاً؟ وهل لديه الاطلاع الوافي على التجارب الإدارية الناجحة في بعض الدول المتطورة والمجاورة لتطبيقها في سورية؟ أشك في ذلك، لأن تغيير ذهنية التفكير لدى أغلب القائمين على مؤسسات القطاع العام على مدار عقود لم تتغير، فنظام المحاصصة هو السائد، وعقلية المدير المركزية في القرار لن تؤدي إلاّ لمزيد من الفشل.

نعلم أن نظام المحاصصة هو السائد في تشكيل أي حكومة لدينا، ويخضع تعيين الوزراء بناء على المناطقية والأحزاب المنطوية تحت قبة الجبهة الوطنية القومية، ويومها كان حزب بكداش له نصيب بوزير بدون حقيبة يوسف الأحمد، وجاءت تسميته وزير الدولة للتنمية الإدارية، واستمر الوزير قائماً على منصبه لمدة عشرة أعوام ممثلاً الحزب، وخرج في التشكلية الأخيرة. والسؤال، ماذا فعل الوزير طوال هذه الأعوام على صعيد التنمية الإدارية؟ حتماً لم يفعل شيئاً سوى تنظيم بعض الندوات واللقاءات، لأن أي حديث عن تنمية إدارية في ظل وزير دولة لا يملك من كادره سوى السكرتير -وأمين سره، والسائق، والمراسل- ضربٌ من الخيال، وهذا دليل واضح أنه لم يكن في نية الحكومة أي فكرة في تحقيق إصلاح إداري أوتنمية، سوى بالشكل، في وقت تعتبر وزارة التنمية الإدارية من أهم الوزارات على الإطلاق في البلدان التي تؤسس بنية تحتية حقيقية لشعوبها، ووزارة التنمية الادارية هي التي تحقق التشابك مع الوزارات الأخرى، وتتلمس مشاكلها، وتقدم الحلول وتضع الاستراتيجيات. في حين اقتصرت لدينا على وزير دولة بدون حقيبة لإرضاء الشيوعيين فرع بكداش. فمن المعيب أن يتحدث النوري عن خطة عمل لوزارة التنمية الإدارية وهو الذي كان سابقاً يشغل ما يسمى وزير دولة للتنمية ٢٠٠٠-٢٠٠٢ ولم يحقق أي شيء مما كان يعلن عنه في تلك الفترة التي اعتبرت ذهبية بإطلاق التصريحات عن نقلة نوعية في الاقتصاد السوري، وهل سيغير النوري مهام سلفه السابق حيث كان يقتصر عمل وزير التنمية الادارية على التدريب والتأهيل. لدينا أكثر من تساؤل للسيد النوري: هل مشاكل القطاع العام تكمن في الإدارة التي يتم تعيينها من قبل الأجهزة الأمنية، أم في قلة الكوادرغير المؤهلة؟ وهل العلاقة ما بين الإدارة والمواطن تتسم بالشفافية والاحترام المتبادل؟ للأسف لم تُراعى هذه الشفافية على مدار عقود بين المواطن والإدارة، إذ كانت الأخيرة تنظر إلى المواطن نظرة دونية، وبعدم احترام، وبإقصائه عن اعتباره شريك رئيسٍ في نجاح أي مؤسسة، سواء كانت عامة أو خاصة.

بشار الأسد ورئيس حكومته

إن المشكلة التي تعاني منها مؤسسات القطاع العام لم تكن يوماً في توفر الكوادر المؤهلة، بل في عقلية الزواريب التي تنتهجها الإدارات، والتي أوصلت مؤسسات القطاع العام إلى مستوى متدنٍ، وأصبحت شركاتنا عبارة عن خردة بشرية تحتاج إلى عشرات الآلاف من الخطط الخمسية للإصلاح، كما نحن بحاجة الى الاطلاع على التجارب الإدارية الناجحة في الدول المجاورة والمتقدمة، وضرورة الاستفادة من تجاربهم وفق واقعنا الراهن. وهناك مشاكل أخرى، كضرورة الاستجابة لتحديث القطاع العام من حيث توفير مستلزمات نجاحه من الكوادر، وتجديد آليات العمل، والاعتماد على الكادر المؤهل علمياً وإعادة هيكلية هذا القطاع.

ولا ننسى أن نُذكّر بفكرة النافذة الواحدة، فهذا الأمر لم يقف المسؤولون عن تداوله مرة، فكان طاقة النجاة لديهم عندما تحدثهم عن أي عملية إصلاح إداري، فأول ما يتبادر إلى ذهنهم النافذة الواحدة، ويتفاخرون بإحداثها. بينما في حقيقة الأمر نجد أن نافذة فرن الخبز تقدم خدمات للناس أكثر من النوافذ المفتوحة في مؤسساتنا الحكومية، فلا تسهيل لإجراءات إدارية بل تعقيد معاملات المواطنين هي السمة الأبرز.

حسان النوري قدم خطة وزارته على اعتبار أنه رأس الهرم في الوزارة، ولم يفكر على أساس العمل المؤسساتي، وهذا بحد ذاته يحتاج إلى ثورة في الإصلاح الإداري وتطبيق فكرة العمل المؤسساتي، فهل النوري قادر على إحداث ثورة في الإصلاح الإداري؟ جميعنا يشك في ذلك، لأن النجاح يبدأ قبل أي شيئ من احترامنا للمواطن، وهذا الأمر تم استبعاده منذ عقود من الزمن.

سورية: «لا يمكن حل النزاع بقوة السلاح»

أنيت غيرلاخ - مجلة ART

ترجمة: ليلى كريم

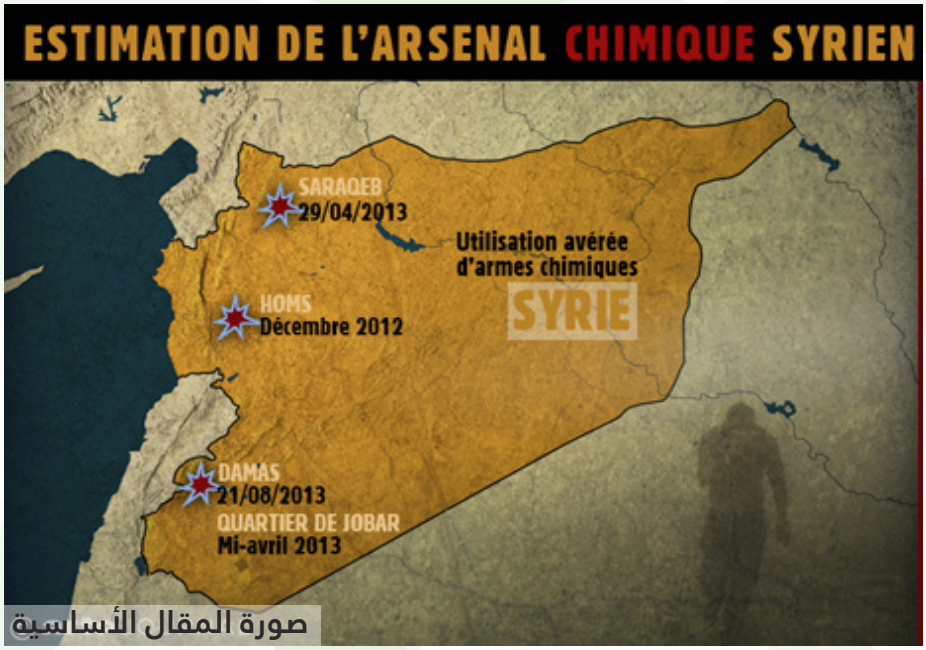

صورة المقال الأساسية

في السادس من شهر تشرين الأول الماضي، بدأ خبراء دوليين بالإشراف على أولى عمليات تدمير الأسلحة الكيميائية في سورية. هذه المهمة التي تم تكليفهم بها من خلال القرار ٢١١٨ لمجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. بدا النظام السوري في حالة من الامتنان. وزير الخارجية الأمريكي أشاد بـ «موافقة دمشق» ويبدو أن التهديد بتدخل عسكري دولي بات بعيداً.

أجرت مجلة arte لقاءاً مع مدير معهد أبحاث السلام في جامعة هامبورغ، مايكل برزوسكا Mechael Brzoska، عن الآثار السياسية لتنفيذ هذا القرار.

• وفقا لخارطة الطريق للأمم المتحدة، سيتم تدميرالترسانة الكيميائية السورية، كما سيتم تدمير مواقع الإنتاج بأكملها بحلول منتصف العام ٢٠١٤ هل يبدو لكم هذا المنظور واقعياً؟

-مايكل برزوسكا: هذا يبدو طموحاً لكنه ليس مستحيلاً. أولاً نحن لا نعرف حجم المهمة، في الوقت الحالي ليس واضحاً. كل شيء يعتمد على الحالة التي ستكون عليها الأسلحة الكيميائية. بعض منها سهلة التدمير ، ولكن الصعوبة يمكن أن تأتي من تلك التي يتم تحميلها على شكل ذخيرة. التحييد سيكون أصعب بكثير . والذي يمكن أن يكون أكثر تعقيداً أيضاً هو الذخيرةالمخزنة منذ سنوات. إنها يمكن أن تكون صدأة، مما يجعل التلاعب بها أكثر خطورةً. وليس من المعروف ما إذا كان المفتشين -وجميع أولئك الذين يتعاملون مع هذه الأنشطة الهدامة- يمكنهم العمل بحرية. سورية وقبل كل شيء هي بلد في حالة حرب. ومن غير المعروف حتى الآن مكان تواجد الأسلحة الكيميائية بدقة، إذا كانت جميعها في المناطق التي تسيطر عليها الحكومة، أو ما إذا كان يتوجب على المفتشين أداء عملهم في مناطق الصراع.

• أعطى بشار الأسد قائمة من ٤٥ موقعاً لتخزين وإنتاج الأسلحة الكيميائية. كيف يمكننا التأكد من أن هذه القائمة كاملة؟

مايكل برزوسكا: بعد انضمام سورية إلى اتفاقية حظر الأسلحة الكيميائية، كان لدى النظام ثلاثون يوماً لمعرفة مدى ترسانته ومواقع التخزين. ولم يتم تجاوز هذه الفترة حتى الآن. بعد انقضاء هذه المدة، كلّ عضو في منظمة حظر الأسلحة الكيميائية يمكنه أن يطلب مواقع أخرى، ربما يتم تفتيشها من قبل المنظمة، هذا ماتمت كتابته في الفرائض. أما بالنسبة لسورية، سوف يكون تطبيق هذا الحكم أكثر صعوبةً إلى حد أن أهم الأعضاء في المنظمة - روسيا والولايات المتحدة فقط، ولكن أيضا الدول المجاورة - ليس لديهم أي مصلحة في تحدي التصريحات السورية. هذا كان قد نسف عملية التفكيك. وبالإضافة إلى ذلك، إذا كانت دولة ما تريد رغم كل شي لعب هذا البند، سوف يكون من الصعب الذهاب إلى الموقع الذي يجب فحصه في حال وجوده في منطقة من مناطق القتال.

• الأسلحة الكيميائية، هي إلى حد ما هي أسلحة الدمار الشامل في البلدان الفقيرة. سورية لديها أسلحة كيماوية منذ ثلاثين عاماً على الأقل. ما هي البلدان التي ساعدت في تكوين هذا المخزن؟

مايكل برزوسكا: كنا نشتبه دائماً بأن سورية تقوم بتصنيع الأسلحة الكيميائية. سابقاً في السبعينات، وبشكل أساسي بهدف الوصول إلى تناغم مع سرعة البرنامج النووي الإسرائيلي المزعوم. الأسلحة الكيميائية هي إلى حدّ ما أسلحة للدمار الشامل في البلدان الفقيرة. ليس هناك شك في أن سورية استفادت اساساً من التعاون مع روسيا. المرافق التي دمرت حالياً كان الفضل في تصنيعها بشكل أكيد للتقنيات وللمهندسين الروس. في ذلك الوقت، كان الاتحاد السوفياتي يمتلك برنامجاً كبيراً لتطوير الأسلحة الكيميائية. ولكن من المرجح أيضاً، أن هناك إمدادات من دول أخرى، سواء كان الأمر يتعلق بالأسلحة الكيميائية أو المعدات الإلكترونية. ربما أن هذه الدول كانت تجهل أن شحناتها ستستخدم لإنتاج الأسلحة الكيميائية. لكن كان يتوجب عليها معرفة أن إنتاج الأسلحة الكيميائية مماثل تماماً لتصنيع المنتجات الأخرى، مثل المبيدات الحشرية، على سبيل المثال. يمكننا، وبشكل جيد جداً امتلاك المصانع الكيماوية، التي صممت في البداية للاستخدام المدني، والتي استخدمت أيضاً لهدف عسكري. الفرق الكبير هو في معايير السلامة. هم أكثر صرامة بكثير في حال إنتاج الأسلحة الكيميائية للاستخدام المدني لأنها منتجات شديدة السمية. عندما يتعلق الأمر بمرافق عسكرية سرية و تكون في معظمها في مناطق محظورة شديدة المراقبة.

• لا تزال هناك بضعة أسابيع، دمشق كانت قد عزلت على الساحة الدولية، التدخل العسكري ضد مرافق النظام يبدو وشيكاً. هل العملية الحالية لتدمير الأسلحة الكيماوية تعني شيئاً سوى الانتصارالسياسي لبشار الأسد؟

مايكل برزوسكا: نعم، وإنها لمن المفارقات. لأنه

في نهاية المطاف من استفاد أكثر من الهجوم الكيماوي في ٢١ آب كانت سورية وروسيا. سورية، لأنه قد تم قبولها من جديد من قبل الكثير من الدول الغربية كشريك حوار. ومن ثم روسيا، لأنه حتى ذلك الحين كان ينظر إليها على أنها تسير وحدها، إلا أنها أصبحت الآن عنصراً أساسياً في البحث عن حل سياسي للصراع.

• وزيرالخارجية الأمريكية، جون كيري ونظيره الروسي سيرجي لافروف يريدون أن ينظموا مؤتمراً جديداً حول سورية في منتصف تشرين الثاني. وفقا لكم, من الذي سيدعى إلى هذا المؤتمر وماذا يمكن أن نتوقع؟

مايكل برزوسكا: بالمقارنة مع الوضع في بداية هذا العام، أنا سأقول إنه لتقدم كبير أن تصر روسيا والولايات المتحدة كثيراً على تنظيم هذا المؤتمر. بالنسبة للطرفين، سيكون من الصعب جمع الممثلين المحليين إلى طاولة المفاوضات ذاتها. رفضت الحكومة السورية التعامل مع الإرهابيين. كما أن جزءاً من المعارضة السورية جعل الشرط الأولي لأي نقاش هو سقوط عائلة الأسد. على الرغم من هذا، لا تزال هناك فرصة للولايات المتحدة روسيا للضغط على اللاعبين المحليين في تكييف المساعدات الدبلوماسية، الاقتصادية أو العسكرية لمشاركتها في مؤتمر جنيف. لكنني لست متأكداً من أن هذا الضغط سيكفي لجعل كل الأطراف الفاعلة ذات الصلة تأتي إلى جنيف. وبما في ذلك مختلف الجماعات الإسلامية المتطرفة المدعومة من قطر والمملكة العربية السعودية. تملك الولايات المتحدة وسيلة غير مباشرة للضغط على حكومات هذين البلدين، لكن ومرة أخرى أقول، إنه ليس من المؤكد أن هذا سيكون كافياً لتجتمع هذه الجماعات، الحكومة السورية، والروس، والأمريكان، والأكراد، والإيرانيين، واللبنانيين، على طاولة واحدة.

• إذاً مالذي يجب القيام به في محاولة لإحلال السلام في سورية؟

مايكل برزوسكا: للأسف، التجربة تدل على أنه من الصعب تطبيق وصفة من الخارج لانهاء الصراع المسلح. يتوجب علينا في الحال، في معسكرات المتحاربين، أن نصل إلى استنتاج مفاده أن هذا الصراع لا يمكن حله بقوة السلاح. منذ سنتين ونصف، عرف الصراع مراحل مختلفة. توصل الثوار إلى أخذ الامتياز خلال الأشهر الأخيرة، وظهرت القوات الحكومية وكأنها قد استعادت وضع يدها، لدرجة أننا كنا نظن أنها يمكن أن تفوز. أنا أتمنى ان يدرك الجميع أن الدعم الدولي قوي جدا من جميع الجوانب إلى درجة أصبح معها من غير المحتمل أن هذه الحرب ستفوز بالقوة. إن وقف إطلاق النار قبل نهاية العام ما زال ممكناً، ولكن هذا لن يكون كافياً. يجب أن نصل إلى التحول السياسي من خلال الانتخابات أو تقاسم السلطة. وفي كلتا الحالتين، فإن الطريق ستكون وعرة.

رفض تأشيرات السفر يسبب إحباطاً لممثلات سوريات في جامعة جورج تاون

عن موقع الواشنطن بوست.
إعداد: بيتر ماركس

ترجمة: روز الحمصي

كان يمكن أن تكون واحدة من الأحداث الثقافية الأكثر إثارة لهذا الموسم، حيث أدت مجموعة من النساء السوريات اللاجئات من هذا البلد المحاصر، نسخة منقحة من مأساة يونانية ناهز عمرها ال ٢٥٠٠عام، وشملت قصصهن المروعة.

إلّا أن العرض لم يستمر؛ فلكون النساء من اللاجئات، رفضت وزارة الخارجية طلباتهن للحصول على تأشيرات فنانات من أجل العرض الذي تقرر إجراؤه من ١٨ إلى ٢٠ أيلول، في جامعة جورج تاون؛ لأنها غير مقتنعة بأن النساء سوف يغادرن بعد العرض.

تم اتخاذ هذا القرار أثناء التخطيط لانطلاق أول تمثيل مسرحي خارج الشرق الأوسط من «سورية: نساء طروادة»، وهو عمل نظمته الصحفية وكاتبة السيناريو شارلوت إيجر، وزوجها مخرج الأفلام ويليام ستيرلينغ، والمخرج المسرحي السوري عمر أبو سعدة. هؤلاء النساء هن من اللواتي يعشن في المنفى في الأردن، وجميعهن من الممثلات الهواة من شرائح المجتمع السوري، ومن خلفيات متنوعة ومتفاوتة. ويقول منظمو جامعة جورج تاون لهذا الحدث: أن بعضهن لم تضع قدمها على المسرح قبل العمل في هذه المسرحية. ولكنهن أردن المجيء إلى هنا؛ لإعطاء تصورهن حول حصيلة الخسائر التي أحدثتها الحرب بالنسبة لهن ولأسرهن.

تقول سينثيا شنايدر، السفيرة السابقة للولايات المتحدة الأمريكية لدى هولندا وهي الرئيس المشارك لمختبر جورج تاون للأداء العالمي والسياسة، والتي نظمت هذا الحدث: «لمن نستمع نحن؟ لدولة العراق والشام الإسلامية؟ نحن جميعاً أصبحنا في عداد المفقودين تماماً، هذا المنظور البشري حيوي للغاية من الحرب في سورية».

وأضاف عمر أبو سعده الذي تحدث عبر سكايب من القاهرة «أنا وجميع الفريق، كنا متحمسين جدا حول هذا الموضوع، والآن أصبح الأمر محزنا لأننا لم نحصل على فرصة للقيام بذلك».

قدم مسؤولو جورج تاون «سورية: نساء طروادة» كنقطة إنطلاق للاحتفالية التي ستستمر لمدة عامين والتي تعهدت بها مؤسسة دوريس ديوك الخيرية، التي تهدف إلى الحد من المفاهيم الخاطئة العرقية والدينية من خلال دراسة الثقافة، والتاريخ، السياسة في العالم الإسلامي. وهم الآن مرتبكون بسبب قرار وزارة الخارجية

ويعملون بسرعة لإنقاذ الحدث بتحويله إلى محادثة مع النساء عن طريق جهاز إتصال عن بعد من عمان.

إحباط «سورية: نساء طروادة» هي ثاني نكسة كبيرة في الجهود الرامية إلى المسرح الرائد في واشنطن هذا الخريف ومن النقاط الساخنة في جميع أنحاء العالم .في وقت سابق من هذا العام، اضطرت شركة المسرح الصوفي العملاق لإلغاء مهرجان طموح من المسرحيات الجديدة من روسيا تقرر إجراؤها في أواخر تشرين الأول، بعد تراجع المسؤولون الثقافيين في موسكو عن اتفاق لتمويل الرحلة التي تضم ما يقارب ٩٠ من الممثلين الروسيين والمصممين والمخرجين.

وبحسب جوناثان غينسبرغ، وهو محامٍ في الهجرة مقره في فيرفاكس بولاية فرجينيا، كان يعمل من قبل مع جورج تاون للتشاور حول طلب «نساء طروادة»: «إن رفض منح التأشيرات للسيدات يعكس مشكلة أوسع: وهي التدخل المتزايد لوزارة الأمن الداخلي في شؤون التأشيرات، ما بعد ١١ أيلول»، وأضاف «إنها تؤثر على الفنون في جميع المجالات، والأمر الآن أكثر صعوبة مما كان عليه منذ سنوات للحصول على الموافقات على تأشيرات الفنانين».

لقد قُدمت المسرحية لأول مرة في فصل الخريف الماضي، في المركز المحلي في عمان، عاصمة الأردن. تم إجراء مقاربة مع مأساة يوريبيدز إزاء النساء الناجيات من حرب وحشية، حيث كانت الاحداث تدور عن قصص للاجئات سوريات فقد بعضهن أزواجهن وأقاربهن في سورية قبل أن يلذن بالفرار إلى الأردن.

كما وصفته إيجر في مقال كتبته لصحيفة فاينانشال تايمز، هذا الإنتاج يعتبر قفزة من «الرماح اليونانية، وأبراج إليوم إلى الغارات الجوية وقذائف الهاون والقناصة، والمنازل المدمرة في حمص».

وأثبتت التجربة الدور العميق للنساء في المسرحية، وذكر أبو سعده: «أن واحدة من الممثلات قررت قبل أيام قليلة من عروض عمان أنها لأول مرة سوف تكشف رأسها في الأماكن العامة».

وقد أضيف إلى خطط حضور العرض الأول في أمريكا الشمالية في مسرح جوندا جورج تاون بدعوة للنساء من جامعة كولومبيا لعرض إضافي

صورة المقال الأساسية

في نيويورك. ولا شيء من ذلك كان مقنعا لوزارة الخارجية.

وعلى الرغم من منح تأشيرة دخول إلى أبوسعدة، الذي لايزال مقيماً في دمشق، فقد قوبلت طلبات النساء بالرفض هذا الشهر من قبل مسؤولي القنصلية في عمان.

وقال مايكل تي بوند في رسالة مسؤول وزارة الخارجية في رسالة إلى جون. ج. ديجويا أنه تم رفض طلبات النساء بموجب البند ٢١٤ ب من قانون الهجرة والجنسية. هذا جزء من قانون يتطلب من المتقدمين الإثبات بأن لديهم إقامة في الخارج وفقا لوزارة الخارجية وأنه ليست لديهم اية نية للتخلي عنها.

يوجد عائق إضافي في هذه الحالة، حيث قالت الوزارة في الرسالة للجامعة في ١٨ أغسطس، أنه لايوجد ضمان ثابت من الأردنيين بأنهم سيسمحون للنساء بالعودة إلى الأردن مرة أخرى.

وقال ديريك غولدمان، المدير الفني لمركز ديفيس جورج تاون للفنون الاستعراضية والرئيس المشارك مع شنايدر في المختبر إن الجهود الرامية إلى تأمين التأشيرات تتضمن الاتصال مع دبلوماسيين في الشرق الأوسط سابقين وحاليين، وحتى أن هناك ارتباطات مع الملك عبد الله الثاني عاهل الأردن «اعتقدنا أنه كان يوجد العديد من الاشياء هناك التي تصب في صالحنا».

وأضاف غولدمان: «بدون شك فإن هؤلاءالنساء يجب أن يكنّ قادرات للوصول إلى هنا مع الوضوح بأنهن سيعدن بعد انتهاء العرض».

وحول احتمال سعيهن إلى اللجوء قالت شنايدر: «أنا بصراحة اعتقد بأن أولئك النسوة لديهن أطفال صغار وأولياء أمور يعتمدون عليهن (في الأردن، ولا أحد منهن تتحدث اللغه الأنجليزية، وليس لديهن أي أتصال في الولايات المتحده، ماذا سيكون الاحتمال في ظل هذه الظروف؟».

وقال أبو سعده: «أنه علم في يوم الخميس أن الحكومة السويسرية وافقت على تأشيرات للنساء في زيارة لأداء العرض في سويسرا في تشرين الثاني، ولاشيء واضح حول إذا ماكان مسؤول القنصلية الأمريكية في الأردن سيقوم بتغيير قراره».

وكما أشار جينسبرغ باستياء، فإن قرار الضابط في البلد المعني يعكس قدراً كبيراً من السيطرة في وزارة الخارجية.

يقول جولدمان وشنايدر: «بأنهما عازمان على المضي قدما في برنامج المسرحية. في ١٩أيلول، حيث سيؤخذ بعين الأعتبار أمسية بعنوان «أصوات لم تسمع» ستشمل مقتطفات من فيلم وثائقي بعنوان «ملكات سورية» حول المسرحية وسيبث مباشرة من عمان وبذلك ستتمكن النساء من المشاركة».

وقد تم تشجيع أبو سعدة واثنين أخرين من أعضاء فريقه المبدعين الذين حصلوا على تأشيرات دخول، من جولدمان وشنايدر للسفر إلى واشنطن لهذا الحدث، وذلك ابتداءً من يوم الخميس، إلا أن المخرج بقي على الحياد، فلا قلب له من دون نسائه الطرواديات. حيث قال: «مازلتُ أفكر ماهو القرار السليم».

أغنية

قصة: وجيهة عبد الرحمن

كانت كلّما سارت خطوة باتجاه فجرها، يُسمعها أغنيته المسحورة بندى فجرها. فكان كتلك الحوريّة التي تُسمعك أجمل أنغامها بينما هي في محارتها. تندفع إليها، وما أن تصل إلى أسوار اللاّعودة تجد نفسك محاطاً بشباك عنكبوتيّة لا مفرّ منها، تقول له:

دعني وشأني...

دعني أمضي... تلك الإجابة الدائمة...

لا كيف لي العيش بدونك؟

تُكبّلها قيود كلماته... استجداءاته... تنظر إليه بعمق...

لكنني هناك، يجب أن أكون حيث الشّمس.

تقول هذا، ومن ثم تتركه غارقاً في نشوة نصرهِ عليها هذه المرّة أيضاً.

تدخل غرفتها تعبةٌ كلُّ خليّة في جسدها التّعب.... تستلقي على سريرها، تحاول الاسترخاء، كلماته انسلت إليها كمخدّر قويّ.. أصابها الشلل، يتمكّن النّوم منها، فتنام دونما قرار.

كانت تحاول إيجاد حلٍّ، فلم تجد غير سريرها يمتصّ منها التّعب.. لكنّه تآمر عليها، فنامت بعمق دونما حركة، دونما أرق....

في الصّباح لم تستيقظ مبكّرةً كعادتها، تسلّل الكسل إلى كل نأمةٍ في جسدها، انتظرها على الإفطار، تأخرت..

تململ قليلاً، تأفّف من كسلها، نهض بعد أن كان قد ملأ كأس الشّاي.. فتح باب غرفتها، للحظة لم يجدها في سريرها الذي كان بمواجهة الباب..

هيئته تدلّ على أنّ أحداً ما كان نائما عليه، ولكن هل امتصّه الهواء، أين هو الآن الذي كان نائماً.....

انقضت تلك اللحظة، اندفع بقوّة, ليبحث في أرجاء الغرفة،لم يُطل التفتيش، وجدها مرتمية على وجهها في الطّرف الآخر من السّرير، غارقةً في الزّبد والعرق.. حملها بين يديه، احتضنها أبعدها عن حضنه، ينظر إليها ترتعش شفتاه، يناديها، يستجديها أن تردّ عليه، انهال بكفّيه على خديها الشّاحبتين ليوقظها من سباتها، عبثاً ارتسمت آثار أصابعه على صفحة القمر الذي سكن وجهها....

رفعها إلى السّرير، جثّة باردة، برودة ذرّات التراب في نيسان لم يغادره المطر..

قشعريرة نصبتْ لحواسه الشَّرك، سرعان ما فقد الاتجاه....

هل يستلقي بجانبها..أم يسعفها...؟

بدا منتمياً لمجموعة الدلافين التي إذا ما مات أحد من مجموعتها، يبقى الآخرون معه حتى يبدأ الغرق..

وبصمت استحضر شيئاً ما من دفين ذاكرته القصيرة المدى.

ينظر إليها نبتة هلكها العطش.. ثم يعود لمحادثتها...

تذكّر عينيها البحريتين، قاعهما أعمق.. لونهما، ذلك الخطّ الوهمي الذي يفصل البحر عن سماء الملائكة..

همس:

إنّهما عينيها... ذلك البحر.. البحر يفعل ما يريد.

يجب أن يعلم بأنّ على المرء أن يكون مستعدّاً لكلّ طارئ.

مسح عرقها.. لثم جبينها، شعر بطعم الملح يتسرّب إلى شفتيه، نظر إليها غير قادر على الكلام، لم يكن ثمّة داعٍ للكلام إذ عجزت كلماته عن الحضور.

ففكّر كيف عليه أن يغلق دفتي ذلك الكتاب، نظر حوله

يتمتم: هذا المنزل هل هو سرير، أم جدار، أم حيث تقيم هي... أم ماذا..؟

عليه أن يواجه تبعات تلك الحقيقة غير مقتنع بها، فقد باتت على شفير هاوية تلك الرّوح التّواقة للنّور..

وبخطوات خجولة توجه إلى الهاتف، وضغط بأصابعه الكسلى على الأرقام... يطلب مجيء الطبيب...

كان لابدّ من الاستسلام.. فليس من حاجة للإكثار من أكل السّكر في الأوقات السّيئة، وهو الذي أكثر من أكل السّكر، كما لا يمكن اللجوء إلى الموتى أو العيش معهم، وهي كما تبدو تتنفس في جسد ميت.

عليه أن يستسلم، ليجعل الأمور تبدو كفكرة نبيلة من صنعه..

عليه أن يعتقها...أن يفكّ أسرها، ويطلق جناحيها للطيران..

إذ أن بعض الطّيور لا تنتمي إلى القفص.

أزهار النسيان

وداد نبي

الطرقات
كل الطرقات التي تحتفي بمسيري الصباحي
الطرقات القصيرة.. والطويلة
طرقات المدن
طرقات الشعر
طرقات الفقد
طرقات الغياب
طرقات الغربة
كلّها مُعبّدة بالأزهار
آه.. يا للأزهار الجميلة بودلير
العالم يشهق أزهاراً
العالم يزفر أزهاراً
وأنا ما بينها أحيا كمشتل وردٍ
أدلّلُ المارة على الأسرار الخبيئة للزهر
الأقحوان الأحمر
يضمدُ جُرح الماء
زهرة الخُزامى
تنسي قُبلة الهجران
الخبّازى القرمزية
تتحدّى صقيع الغياب
وأجمل الأزهار
زهرة اللوتس البيضاء
تعانقُ أرخبيل ماء العاشق
فتمنحُ الحب الأبدية
وحدها زهرة النسيان
كلّما استبطنت جلدي
واستنشقتُ عطر الاشتياق بدورتي الدموية
توخز قدمي الصغيرة
توخز روحي بالشوك
بالندم
بالبكاء
أزهار النسيان ..
أنّها هي
ولا أحد سواها
هي أزهار الشرّ يا بودلير .

الرواية السورية والهزات الارتدادية

د. سوسن جميل حسن

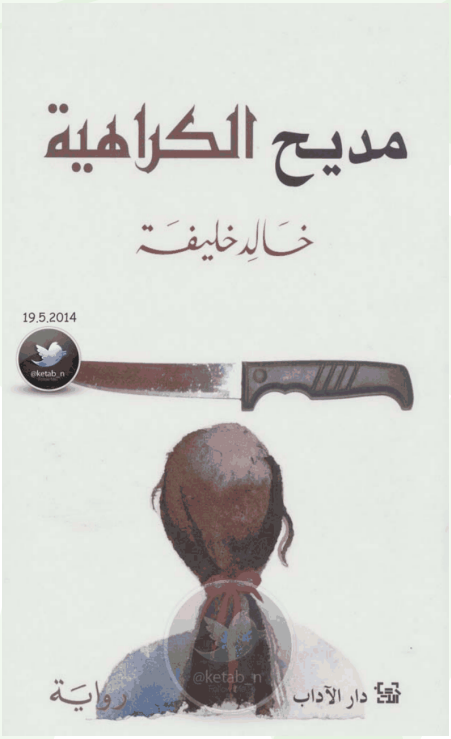

أظن أنه بات من المعروف بعد قراءة التاريخ والاطلاع على تجارب الشعوب، أن للأدب دوراً كبيراً في دفع الجماهير إلى الثورة على واقعهم، بالإضافة إلى عوامل أخرى لا يمكن إغفالها على علاقة بالحالة المعيشية للناس، وبمدى توفر الظروف التي يطمحون إليها لتحقق لهم حياة كريمة تضمن لهم إنسانيتهم، فالأدب بشكل عام يشتغل على صياغة الوعي الجمعي، وإدراك الشعوب لذاتها وبالتالي يدفع بها إلى التمرد على واقعها لأجل واقع بديل أكثر رحمة بإنسانيتهم.

في كتابه «فن الرواية» يقول كولن ويلسون: تأثير الرواية في المجتمع الأوروبي فاق تأثير العلوم الإنسانية الأخرى. ويقول طه حسين في مقالة «أدب الثورة وثورة الأدب» المنشورة عام ١٩٥٤ في صحيفة الجمهورية: (الأدب يثور قبل أن تثور السياسة). في هاتين المقولتين ما يدلّ على الدور الكبير الذي يلعبه الأدب، والرواية تحديداً لما تتسم به من قدرة على احتواء العلوم والفنون بأنواعها المختلفة والتشابك معها، في التغيير المجتمعي وفي تاريخ الشعوب. والتاريخ المعاصر الذي لا زلنا بين فصوله التي تُدوّن يمدّنا بالشواهد التي لا تُحصى عمّا يلاقيه الأدباء والروائيون من ملاحقة وتضييق الخناق على إنتاجهم الأدبي وعلى حياتهم أيضاً من قبل السلاطين بكل أشكالهم، فكم من رواية منعت من التداول، وكم سحب غيرها من المكتبات، وكم منع بعضها من الصدور والنشر بسبب الرقيب، وكم كُفّر أدباء وهدرت دماؤهم بسبب عمل روائي يفضح المسكوت عنه، أو يقترب من الخطوط الحمراء، أو من الرموز بقدسيتها إن كانت دنيوية أو دينية؟

النتاج البشري الثقافي هو توق الشعوب للوصول إلى عالم أفضل، ففي الحقبة الماضية جرى توسع هائل في دائرة عدم المساواة المادية، وتفاقم القمع والتعبير عن الذات. وهو ثورة على الواقع تحدث في الخيال قبل أن تبدأ في الواقع، وما النتاج الذي سبق الثورات العربية الحديثة سوى طريق مهّد لإدراك الشعوب لذاتها ووعيها بضرورات التغيير والانتقال إلى حيّز أرحب وأكثر قدرة على توفير الشروط الإنسانية لعيشها. ولا زال الطريق مفتوحاً أمام الأدب، مفتوحاً على نهايات تتناسل من بعضها، لن يكون أدباً يكرر نفسه في قوالب الماضي، وأخمّن أن زمن التابوات قد ولّى بالرغم من تعدد الطغاة، وبالرغم من تزاوج التسلط الديني بالسياسي، لن يضطر الروائي كثيراً إلى الإسقاطات والمواربة والترميز، ولن يكون مغرماً حدّ الحاجة إلى التشبث بقصص الماضي وإعادة إحياء حكايات التاريخ وإظهارها للشمس موارباً مقص الرقيب أو تهديد الأنظمة وملاحقته، ولن يكون مردداً لصدى الواقع الراهن، سيكون أدباً يتخلّق من رحم الأحداث، يكبر ويتأمل ويشكل منظومة مفاهيمه ولغته من الأحداث والتحولات التي تطرأ على الأوطان.

في سورية بدأت إرهاصات رواية الثورة بداية واعدة إذا نظرنا لعدد الأعمال التي صدرت، فكل حين تطالعنا الصحف بأسماء أعمال روائية جديدة كتبت على وقع الموت وضجيج أدواته، روايات تعايش التاريخ وتعيش لحظاته بكل ما حملت وتحمل، تواكب الواقع وتعيش ذهوله ودهشته.

بقراءة هذه الأعمال سوف نلمس انشغالها بالزلزال السوري، سوف نشعر بالنبض السوري بحدته وغضبه ووجعه وأنينه. كتّاب رسموا بكلماتهم انعكاس هذا التاريخ الذي يتحقق كما عاشوه وكما يردد رجعه في دواخلهم، وآخرون رسموا المشاهد من منطقة إلى أخرى مثل كاميرا في يد ناشط، بالرغم من أن الكاميرات التي رصدت للمشهد السوري كانت أبرع وأكثر براغماتية، وكتاب شكّلوا عالماً موازياً يمور فضاؤه بالوجع والخيبة والرفض، وملؤوه بالضحايا والقتلة والمخذولين والحائرين والذاهبين في دروب التيه، وبعضهم حمّل شخصياته الأفكار المتصارعة أو المتحاورة أو المتصادية ليقول قولته.

أما جميع تلك الروايات فقد كانت مشغولة بالهم السوري، تعيد الأسئلة القديمة، وتطرح أسئلتها الجديدة. أسئلة يفرضها الراهن السوري وما يكشف ويعرّي من مشاكلنا وأمراضنا المزمنة التي تعايشنا معها متوهمين السلامة، فإذا بالحرب التي تشهدها سورية والتي تفوق الحروب التقليدية بشراستها وقدرتها على دمار الأوطان والمجتمعات، تصدمنا بحقيقتنا التي واربناها عقوداً طويلة. أسئلة الهوية، الانتماء، الوطن، المواطنة، إدارة الحياة الجمعية، الدين ووظيفته، الطائفية، العنف، المفاهيم التي يرنو الشعب نحوها من حرية وعدالة اجتماعية وتكافؤ فرص وديموقراطية، منظومة القيم والأخلاق، حتى الثورة كمفهوم وكتطبيق صارت من الأسئلة الهامة التي تواجه الرواية وتشغلها.

لا زال الوقت باكراً من أجل الحصاد، فالأحداث أكبر وتطورها أسرع من استيعابه، إنما برغم ذلك لا يمكن للأدب أن ينتظر فهو يعيش الهزات الارتدادية والتصدعات التي أحدثها الزلزال في البنيان المجتمعي وحتى في الشخصية الفردية للمواطن السوري، سوف يكون له شواغله في كل حقبة، وستكون له حلّته أيضاً، وستكون له ثورته الغير منظورة، إذ لا بد بعد كل هذه التحولات من أن ينبثق أدب جديد، كما ستكون هناك ثقافة بديلة ستنبثق من القاع، من القاعدة، من مدن تئن تحت ركامها وتنزف من شرايين أبنائها، وتباع وتشرى من قبل تجار الحروب وسماسرتها، من لم يموتوا هم أولئك الذين سينهضون بالثقافة البديلة التي ستحمل طاقات الحياة وإبداعاتها انطلاقاً من واقع الدمار ومن مرارة التجربة، وهم من سيشكلون الأدب بحلته الجديدة، والفنون كلها أيضاً.

وحده الحلم يعيدك إلى الجادة

وعد عبد الوهاب

مدينة حلب ليلاً

بعد ليل امتد طويلاً.. ليل افتقد السكينة والكهرباء معاً.. تحملك أقدامك، إلى مكان ما في قلب المدينة الكبيرة، مدينة حلب الأثيرة على نفسك ووجدانك.. المدينة التي تصرُّ، رغم كل معاناتها ومعاناتك، على البقاء فيها، ملتصقاً بأماكنها وأوقاتها..!

هاأنتذا، الآن، تمضي في مشوارك، تمضي رغم ضجيج الزيف والخوف، ساهماً في فراغ الشوارع وكآبتها.. تمضي مستجيباً لذلك الهمس الخفي الذي أتاك متعاطفاً.. راغباً بما يمكن أن يجلو همَّ نفسك.. يواسيها، يقول لك بمودة:

(اذهب، ولتمعن إلى الأرصفة، الأشجار، واجهات الأبنية، المحلات.. امض، فلا بد أن تحظى بإلف عزيز.. بذكرى ما.. فلعلك، عندئذ، تخفف عن الروح بعض أوجاعها..!).

وتمضي.. فترى الشوارع تئن تحت ثقل الحواجز.. حواجز الأسمنت الصماء، وما يماثلها مما يشوِّه بصمته وصدِّه معالم الأشياء والناس.. يبعد عن أشياء المدينة رقتها التي كانت.. أسوار الحدائق تفتقد، هي الأخرى، زهو خضرتها وأزهارها، كثافة اللافتات وتزاحمها تغطي بياض الياسمين.. تمتص عطره.. لافتات، عليها بصمة العسس، تتكاثر كفطر سام.. صور شعارات، تثير غثيان النفس.. أصوات من هنا وهناك، تصرخ في أذنيك.. ينبو عنها السمع من قرف واشمئزاز.. تغصُّ في امتعاضك، تزكم أنفك روائح جند ليسوا كالجند.. يتشبهون بهم.. تمعن إلى أشكالهم.. إنهم لا يمتون إلى الجند في شيء أبداً.. ليس لهم أيُّ قدر من ذلك الطهر الذي قد يأتي من أصل وظيفتهم التاريخية ومن محتواها..! تشيح، من ضيق، عن سحناتهم.. ينتابك شكّ في أصل خلقهم وتكوينهم.. وكأنَّ الله، جل شأنه، قد استثناهم من ألوان البشر فليس لهم شيء من النبالة أو الشهامة التي يودعها، عادة، نفوس أمثالهم درءاً للشر، وأملاً في الحفاظ على أمن الناس وهدوء حياتهم.. أكثر ما يسوءك، وأنت تمعن إليهم، أنك لا تجد قانوناً أو عرفاً ما يحكم سلوكهم، أو يلجم تصرفاتهم وارتكاباتهم.

تحدثك نفسك، بأن تلك السحن لم يؤت بها أصلاً إلا لغرض التطاول على الكرامة والحريات، وعلى أمن الناس وحركة الحياة.. تتابع المسير.. تسعى إلى جرعة هواء نقي يفتح الصدر.. صوت انفجار شديد يباغتك بولاويل مشؤومة، تقدِّر أنه قادم من حيث أحياء ما يسمى بحزام الفقر الذي يسوِّر المدينة.. فتلك الأحياء اعتادت عويل الآلات المجنونة، ونتاج غضبها وأحقادها.. أصوات أخرى لارتدادات تتالى إثر ذلك الدوي الهائل، لا تخمِّن مدى دقة تدميرها.. تتمتم بينك وبين نفسك: الله يستر..!

إشارة على جوالك.. تفتح الرسالة وتقرأ في الخبر العاجل:

انهيار عدة أبنية في حي بستان القصر، تنجم عن سقوط ثلاثة براميل متفجرة.. الخبر يدعو الشباب وكل من لديه القدرة للقيام بعمل الإنقاذ.. فهناك، تحت الأنقاض، قتلى وجرحى.. جماعة من البشر كانت تلتئم حول مائدة فقيرة وإبريق شاي.. تمتلئ نفسك غيظاً.. بل تزداد حقداً حين ترى إلى اللافتات التي ما تزال تحمل ذلك الوجه المنغولي بضحكته البلهاء، وعلامات العته المتأصلة.. (أية انتخابات يا بن ال.. على من تفتري وتمثِّل..؟! ثمَّ من تراه امتطاك، وأوثق الركاب واللجام، لتخوض به، بل لتبحرا «سوا» في خضم هذه الدماء، وتلك الخرائب..؟!)

تحاول أن تفعل شيئاً.. أن تمدَّ يدك نحو بعض تلك اللافتات.. أن تعمل أظافرك فيها، تحيلها إلى مزق، أو تجعلها تحت قدميك.. فوحده هذا الفعل يخفف من أوجاع روحك..! ولكن لا شيء غير الآه..! عيون «الشبيحة» تحاصرك.. إيه.. ما الذي يمكنك أن تفعله..؟! يراودك، وقد صرت على مشارف ساحة سعد الله الجابري، طيب الله ثراه، خاطر ما.. لو كان لديك زجاجة بنزين وعود ثقاب.. إنه الاحتجاج السلبي..! ولكن لا ليس أنت من يفعل..! ولا هم من يفهم..!

تنازعك فكرة العودة من حيث أتيت، والسعي لأخذ مهدئ ما، والدخول في نوم مديد..! لكنك، وبالتداعي العفوي، تتساءل عن سرِّ هذه المهازل؟ وما الذي يكمن خلفها؟! ولِمَ يقوم هؤلاء بهذه الأفعال الغبية؟! من يدفعهم؟! أتراهم حقاً لا يدركون تفاهة ما يقومون به؟!.

ويأتيك الجواب ناصعاً، يضيء مثل شهاب..! بلى إنهم يعرفون كل شيء، وهم واعون تماماً.. وحدك الذي لمّا تدرك كنه الاستبداد وعبيده، فمن طبعه ألا يقيم أيَّ وزن لغير عامل القوة والقهر والإكراه.. ألم تسمع بالموت صبراً؟! هناك ما هو أمر، ألا إنه الموت غماً أو غيظاً.. نعم، إنهم لا يفكرون إلا بهذا.. فإذا ما أخطأك الرصاص.. توافيك دواعي الغيظ والغم في كل زاوية وناحية..! صوت ما.. صوت أكثر عمقاً ووضوحاً.. يهمس لك، فترهف إليه:

«ثمة أمر لا زالوا يجهلونه أو يتجاهلونه، هو أن الشعب السوري الذي تحمَّل كثيراً.. وصبر طويلاً.. وكان قد منحهم.. منح حاكميه الفرصة تلو الأخرى، قد حزم أمره، وقال كلمته القاطعة الباتة: نعم لحلم الحرية، ولا للاستبداد بأشكاله وتجلياته..!.

وها هو ذا رغم كل المعاناة يقبض على حلمه أو يكاد.. تعتريك رعشة، تبتسم، وتعود أدراجك.. نظرك إلى الأعلى.. إلى سماء الشارع.. يضحك لك.. يحملك على جناحين من عطر وماء، ودوران في فضاء صاف رحيب..!

(نتلمّسُ الكلماتِ على الجدار) للشاعر حكمة شافي الأسعد

عبد الكريم بدرخان

عبد الكريم بدرخان

بعد أن يئسَ من دور النشر العربية، أصدر الشاعر السوري حكمة شافي الأسعد مجموعته الشعرية «نتلمّسُ الكلماتِ على الجدار» الكترونياً، بإصدارٍ خاصٍّ ضمن منشورات «مكتبة الأدب السوري»، وبحقوق ملكيّة غير محفوظة. وهي المجموعة الشعرية الثانية له بعد مجموعته «جمع تكسير الأصابع» الفائزة بجائزة الشارقة للإبداع العربي عام ٢٠٠٩.

حكمة شافي الأسعد، ابن مدينة حمص، والحاصل على درجة الدكتوراه في الأدب العربي، وجدَ نفسه منذ عام ٢٠١١ في رحلة نزوحٍ داخليٍّ لا نهاية لها. وهو الذي قال في إحدى قصائده القديمة عن حمص:

«وكأنني نفَسُ الضبابِ، يبلِّلُ الشعراءَ بالمغزى، فيتَّبعون حمصَ، ويشتُمون النثرَ يومياً!!»

نراه اليوم قد هجرَ الشِعر الموزون نهائياً (وهو وزّان من العيار الثقيل)، وسكنَ في قصيدة النثر التي كان شعراءُ حمصَ يشتمونها قبل أعوام!!

١- النزوح والشعر:

أبدأ بقراءة مجموعة (نتلمّسُ الكلماتِ على الجدار) من حالة النزوح الجماعي القسري، وهي حالة متكررة في تاريخ المنطقة الحافل بالحروب الخارجية والغزوات الداخلية، وغالباً ما انتقل الشعر العربي من مرحلة إلى أخرى تبعاً لانعكاسات النزوح على الأدب، فقد تميّز الشعر الأموي بالحنين إلى الجزيرة العربية، وجاء الشعر العباسي حافلاً ومحتفلاً بالجغرافيا العراقية الخضراء. وفي العقود الأخيرة، رسمتْ هجرةُ أبناء الريف إلى المدينة ملامحَ جديدة للشعر العربي، فظهرتْ قصائدُ هجاء المدينة والمدنيّة، وقصائد الحنين إلى الريف والطبيعة والبداءة الأولى.

رحلة النزوح التي عاشها الشاعرُ حكمة شافي الأسعد خلال ثلاثة أعوام، ابتدأتْ بهجر مدينته حمص،وكأنه نسيَ قلبه فيها: «في النزوح تحتجُّ عشرون نملةً في صدري/ تطالبُني بحبّة قمحٍ ضائعة»، وراح يتعرّف في رحلته على عالمٍ جديد: «في النزوح نسيتُ لهجتي / وأتقنتُ لهجاتِ المدن الأخرى». وقد غيّر النزوحُ نظرته إلى الحياة بأكملها: «في النزوح أكتشفُ سهولةَ التأقلمِ مع الموتِ في الحياة».

كما تغيّرت نظرته إلى الشعر ووظيفته، وإلى الشاعر ودوره، فهو يريد من الشاعر أن يكون شاعراً فقط، فلا يطالبه بتغيير العالم أو المجتمع أو...، يقول: «الشعر خشبٌ هشّ، لا يقطعُ الإصبع التي تضغطُ الزناد / لكنه الإصبعُ التي تكتبُ تاريخَ الزناد». ويوضّح حكمة كيف تحوّل الخراب المادي إلى خراب لغوي، وكيف صارت القصيدة جزءاً من الوجود المهدّد بالعدم، فاختلفتْ طريقةُ تعامل الشاعر مع اللغة: «كنّا نلمسُ اللغةَ برأس إبرة / ونتركُها مرفّهةً / أما الآن، في عالم الموتِ المُجترئ على أسمائنا / نضعُ فيها إصبعَ ديناميت.. أو نلقي عليها برميلاً متفجّراً / ونكتبُ القصيدة».

٢- ملامح سُريالية:

تكثر اللوحاتُ السُريالية في مجموعة «نتلمّس الكلماتِ على الجدار»، فلا يمكن للعقل أو المنطق أو الوعي أنْ يتصوّر الفظائع التي تحدث في سورية، ولهذا اتجه الشاعر للتعبير عنها بانفعالاتٍ سُرياليّةٍ لا واعية. فراحَ يتحدّث عن الخراب الذي يجتاح البلاد والإنسان وذرّات الهواء، وعن قطعِ الخبز المغمّسة بالأشلاء والدماء: «كلّما اشتريتُ رغيفَ خبزٍ خرجتْ منه أسنانُ ولدٍ مذبوحٍ تقضمُ أصابعي». إنه الموتُ الهمجيّ الذي اجتاح القلوب حتى عجزتْ عن الحبّ، وحتى تشوّهتْ تصوّراتُها الجمالية: «كلّما أحببتُكِ، تدلّتْ شعورُ النساءِ من المشانقِ، وتدحرجتْ رؤوسهنَّ من المقاصل».

٣- حمص التي أصبحتْ قصيدة نثر:

منذ أن غادر الشاعر حكمة شافي الأسعد مدينته حمص، عجز عن كتابة قصيدة موزونة واحدة، لقد تركَ قصيدة الشطرين الشبيهة بشارعين متوازيين، وترك قصيدة التفعيلة الشبيهة بالبيوت المختلفة الأحجام- المتساوية اللَّبِنات، واتجه إلى قصيدة النثر المناسبة-إيقاعياً- لرحلة التشرد وسط الخراب والمجهول، يقول: «حين اشتقتُ إليكِ صعدتُ إلى الجبالِ ونظرتُ إلى المدنِ / فلمْ أجدها».

وبعيداً عن التنظيرات القديمة التي ترى أن قصيدة النثر هي ابنةُ المدينة الصناعية الحديثة، فإنّ مجموعة «نتلمّس الكلماتِ على الجدار» تقول إن قصيدة النثر هي ابنةُ اللا مدينة. أو هي ابنةُ المدينة المدمّرة المتناثرة في الرياح، كان لا بدّ لقصيدة حكمة أن تعكس صورة مدينته، وصورة الدمار البربري الذي حلّ بها، إنها حمصُ التي أصبحتْ قصيدة نثر.

وفي النهاية، أنشر المقطع الذي وضعه الشاعرُ مدخلاً للمجموعة الشعرية، وكأنه يعلنُ صراحةً انتقاله من أسلوبٍ شعريّ إلى آخر:

«أخلعُ الكفَّ الحديدية من يدي وأكتبُ بأصابعَ مشوّهة، مثل أصابع الخراب التي تكتب مدينةً كلَّ يوم».

من دفتر الحرب

مصطفى حزوري

ـ ١ ـ
في الحرب تُنسى..
لا يحن إليكَ شيءٌ غير ماضٍ عابرٍ..
وصهيل أنثى
كنتَ تَذكرها تماماً كالقيامة
عندما أرسيتَ يأسا
في الحرب ترسمُ وجه أمكَ ثم تسألُ
كيف صار الوجه شمسا ؟!..
في الحرب تؤلمكَ المدائن
كيف صارتْ لعنةً ؟..
أنتَ احتملتَ نزيفها لتصير في وجه الرماح اليوم
تُرْسا
في الحرب يبتسمُ الصغارُ
يلملمون الحلم من وجع الشظايا
هكذا هم يقهرون الحرب والنار التي تزداد قبْسا
لم ينتهوا من جزء «عمَّ»

كان للترتيل صوت أنين من رحلوا..
وهم لم يسألوا يوماً «عن النبأ العظيم»
لأن «بعد العسر يسرا»..
والصواريخ التي قد أوجعتْ بوح المآذن والبيوت
تصير أقسى..
ـ ٢ ـ
يقطفُ الشمس من يتحرر من عتمه..
من يؤذّنُ للضوء في كل تنهيدةٍ موجعةْ..
هذه الأرضُ جيشٌ من الدم
تغتالُ غُصّة أفراح حزنك
قبل القذيفة / بعد الشظايا
ولا شيء يبقى سوى الصمت مغترباً
حاملاً أضلعهْ
لم أودعْهمُ
كنت أحفظ بسمتهم آيةً أيةً..
كنت أحتاجُ قلباً ضليلاً كقلبي لكي أتبعَهْ

غير أن المراثي التي ثقبتْ ناي صدري
تخيرني:
أن أعودَ به أم أعودَ معَهْ
ـ ٣ ـ
وطنٌ...
قلْ: دمٌ تسبحُ الحرب فيه
دمٌ لا وطنْ
سورةٌ لنعيم الجحيم
وفاتحةٌ لابتسام الدموعْ
وطنٌ...
قلْ: رغيفٌ يجوعْ
وأراملُ يحملْنَ عمراً من الشهوات
إلى رجلٍ غاب فيه الكفنْ
وطنٌ...
قلْ لهم: ثمّ آهٌ
وثمّ شجنْ....

القناص / VI

«سأعلّق قنّاصتي على الجدار، سأحنّط فيها الرصاص»

عباس علي موسى

نصّ بعنوان «القنّاص»، وهو يعُنى بفلسفة الرصاصة عن طريق الأدب، والقتل بعيني القنّاص الذي يقتلك أحياناً، وفي أحايين أخرى يقتل عدوّك، أو يصيرُ نافذةً على هذا العالم. هذا النصّ عبارة عن فاتحة لتجريد الطلقة من الرصاص، وحشوها بالحبر. هذا النص جزءٌ من نصوص عديدة تحمل العنوان ذاته، أريد أن أحيلها إلى القرّاء، حيث لم يعودوا قرّاءً فقط، إنهّم ثائرون.

I

في محاولة للتعبير عن حبّها، تقومُ بوضع الزهيرات في فوارغ الرصاص، لتمسحَ عن عينيّ آثار القاتل، وهل يصلح القاتل أن يكون بُستانياً؟!
لا حدائق في يديّ، لكنني أستطيعُ أن أزيل رائحة الدماء عنها بالدموع، في النهاية هل سألقى حانوتياً يبيعُ الدموع في فوارغ زجاجات العطر؟
يقولُ أحدهم، حكيمٌ، ربما:
كلّ ضحيةٍ هو مشروع قاتل في الحرب، وكلّ امرئ خارج الدائرة تلك لربّما قام بالدور ذاته فيما لو قيّض له، لا قاتل بطبيعته.

لكن ماذا عنكَ أيّها القنّاصُ ؟
هل تعشق الحياة؟! فلمَ تقتلها؟ أم تعشق الحرية؟! فلم لا تلبسها؟
متصالباً تأسر يديك وعينيك، «لا حرية في ذلك» تقولها رصاصة ساقطة إلى يمينكَ، ظننتَ أنّكَ قتلتَ بها، فيما هي منزويةٌ هناك.

II

مشهد/ ليلي: من فوق المبنى حيثُ أراهما معاً/ قنّاصان متقابلان كرصاصتين، أنا القنّاص الثالث فيما بينهما:
جسدٌ شهيدٌ/قتيلٌ يصوّبان، القنّاصان صليبهما عليه.
أحدهم؛ عن الجسد قتيلاً: هو جسدٌ/فخٌّ للإيقاع بالأرواح التي تندلق منها المغامرة، فخٌّ للمغامرين بأرواحهم.
الآخر عن الجسد شهيداً: هو جسدٌ يستحقُّ أن يوارى الثرى ويعبقَ بدموع الأصدقاء.
ثلاثة كلابٍ قُتلت في المعركة.
«لا ينبغي للكلاب أن تدخل المعركة فيما بيننا»

المشهدُ محفوفٌ بالقتل والكلاب بالحبّ والحياة: أحدهم يودّ انقاذ الجسد الشهيد من براثن الكلاب. (الحرب جعلت من الكلاب شرسة تنهش الأجساد فيما كانت وادعة تحرس الحياة).

III

ماذا بعدُ أيّها القنّاصُ؟
ضع الرصاصات في جعبتكَ المثقلة بدموع الآخرين، كلّ شرود فرصةٌ لحلم أحدهم...
ماذا بعدُ، هلاّ استمعت إلى أغنيةً عن الحنين، عن الحبّ، عن الدموع، أم أنّ الرصاص بغنائه الصلف يئزُّ يئزُّ ويمحو الأغنيات في الأثير.

IV

لن أخبر أمّي أنّي قتلتُ ثلاثة أعداءٍ صبيحة العيد، لأنّهم لم يكونوا يحملون سكاكر في جيوبهم، بل رصاصاً، ورصاصاً محشواً بالقتل. في الغد سأعلّق قنّاصتي على الجدار، سأحنّط فيها الرصاص.

(أمي عصابة إرهابية)

مصطفى تاج الدين الموسى

منذ ساعتين اتصل بي الموت، وأخبرني بصوته الضبابي والبارد بأنه يريد زيارتي.. فأجبته بالموافقة وأنّي أنتظره.

فرحتُ كثيراً، وأخيراً سأشاهد الموت شخصياً.. يا الله !.. كم هو جميل هذا الشيء، طبعاً، أنا ولا مرة في حياتي شاهدتُ الموت بشكل شخصي، إنما فقط كنت أشعر به.

أحسستُ بالخجل، لأنه ليس لدينا في البيت فواكه وحلوى تليق بمثل هذا الضيف الجميل.. يوجد فقط شاي وقهوة.. وشراب للسعال.

رغم فرحتي تساءلتُ مستغرباً:

ــ من أين جلب الموت رقم جوالي ؟..

خمنّت في سرّي أن صديقي مازن هو من أعطى الموت رقم جوالي.

مازن الذي كان قد اختفى في ظروفٍ غامضة من شوارع دمشق منذ عام.

تخيلتُ أن مازن المشاغب، هو الآن في العالم الآخر، يركب في باص كبير ويرمي من النافذة خلسةً قصاصات ورقية عليها رقمي، وفي شارعٍ ما.. عثر الموت على قصاصة ورق واتصل بي.

تماماً مثلما كنت أفعل أيام المراهقة، حيث كنت أرمي بقصاصات ورقية عليها رقم هاتف منزلي، ومقطع من أغنية لـ هاني شاكر، من نافذة الباص. على أمل أن تعثر فتاةٌ جميلة على قصاصة.. فتتصل بي لتبدأ بيننا قصة حب و..

لكن، لم يحدث هذا الشيء..

فقط، مرة واحدة.. اتصل عامل التنظيفات وقال لوالدي غاضباً:

ــ رقمكم يلوث الشوارع.. وهو السبب في نشوء ثقب طبقة الأوزون..

أتذكر يا مازن عندما كنا نمزج الجنّ بالكولا في مقصف الصحافة بالجامعة، لنشرب ونسكر ونحن نختلس النظر للفتيات الجميلات؟..

أتذكر عندما ذهبنا إلى الـــ...

رنّ الجرس، كم هو دقيقٌ في مواعيده صديقنا الموت !.

أسرعتُ إلى الباب وفتحته، ثم شهقتُ وأنا أرى مازن أمامي.

حضنا بعضنّا باشتياق ونحن نضحك.. قلت له:

ــ يا خبيث.. فعلاً أنت تقلدُ صوته بشكل متقن.. بشرفي ظننت أن الذي تكلم معي هو الموت ذاته..

أدخلته إلى غرفتي حيث جلسنا، فجأةً.. دخلتْ أمي فعرفتها على مازن.

أمي غريبة الأطوار، منذ أن بدأت الحرب وسلوكها يزداد غرابة مع مرور الأيام.

وأنا أُعرفها على مازن، أدارتْ ظهرها وخرجتْ، حتى دون أن تسلم عليه.

اعتذرتُ منه وقلت:

ــ لا تزعل.. حقك عليّ.. إنها الشيخوخة وأمراضها..

ثم ذهبتُ إلى المطبخ حيث أعددتُ فنجانيّ قهوة.

وأنا راجع إلى غرفتي مررتُ من أمام باب غرفة الجلوس.. فسمعتُ أمي تبكي وهي تقول لجارتنا:

ــ البارحة كان يتحدث مع ندى واليوم يتحدث مع مازن..

ــ وأين المشكلة ؟..

سألتها جارتنا فأجابتها أمي:

ــ المشكلة أنه لا يوجد أحد في غرفته.. لا البارحة ولا اليوم.. إنه يتحدث مع أصدقائه اللذين قتلوا..

سقطتْ الصينية من يديّ..

سالتْ القهوة على البلاط..

كعادتها أمي.. أخترع حلماً وأتركه يمشي في شوارع دمشق، فتأتي هي.. وتخطفه...

ثقيلا كان هذا الرشاش على كتفي يا أمي

د. نجاة عبد الصمد

ثقيلاً كان هذا الرشاش على كتفي يا أمي لا كما النادبات في المآتم كانت؛ كانت الأم في احتضار... لا كفُها الرخوةُ تنهض تلطم وجناتها اليابسة، ولا الصوت يرجرج حنجرتها المدكوكة بالصوّان ولا الصبرُ يدانيها، ولا السلوان قريب... «خذوني إليه حيث كان، أملم دمه الذي انساح هناك..خذوني لأسأل: لماذا قتلوه! خذوني إليه... أو أعيدوا الزمان لأردفه خلفي وأفدي بصدري ظهرَه الذي خردقَه الرصاص... غداً سيصلني نعشه البردان: دعوني أشمّه، وأغسله، وأكفنه، كما كفّنت يداي أخاه الأكبر الذي دهسته قبل شهرين سيارة هوجاء... دعوني أتحسر على السنين التي تعاطيت فيها حبوب منع الحمل فلم ألد عشرين ولداً.. جازيتني يا ربّ ولم تحفظ سوى صغيري الثالث المعاق ! ولم أكن قد ربّيتهم للغربان. ربّيتهم «شبراً بنذر» هذا الأوسط -شهيدُ اليوم- لم يكبر إلاّ بحفنات الدواء ولدته بقصبات منخورة، سمّم الربوُ نموّه سبقه سعالُه في كل خطوةٍ من خطاه الواهية وأرجعَه كلَّ يومٍ من المدرسة أزرق باكياً ليحرق قلبي أمّلني الأطباء أنّ ربوه سيعفيه من الخدمة العسكرية ويوم وفيت جميع نذوري حين انسلّ منه الربو على مشارف الشباب، أتى العسكر واقتادوه إلى «خدمة العلم» كان هذا منذ شهور ثلاثة رأيناه خلالها في زيارته اليتيمة في الشهر الماضي وأخبرنا أنه نُقل منذ أسبوع خدمته الأولى إلى حاجز في حمص... سلّموني رشّاشاً - قال لي . وقالوا: اضرب يا وحش ! وأنا -قال لي- لا أعرف بعد كيف أصير وحشاً! ثقيلاً كان هذا الرشاشُ على كتفي يا أمي -قال لي كيف لي أن أحمله- قال لي؛ أنا الذي لم تتركيني أحمل إلى البيت ربطة خبز! ولم أحمل كتاباً ولا معولاً ولم أحمل حتى جسدي ولم تحملني حتى رئتاي... جئتُ إلى الدنيا نكرَةً مريضة وأخرج منها اليوم صفحةً بيضاء ... لم أقل لك: سامحيني ... أروح وفي حلقي اعترافٌ وحيد: لم أصر وحشاً؛ ولم يبصق رشاشي في وجه أحد!.

مشعل تمرد
مشعل الثورة
السورية